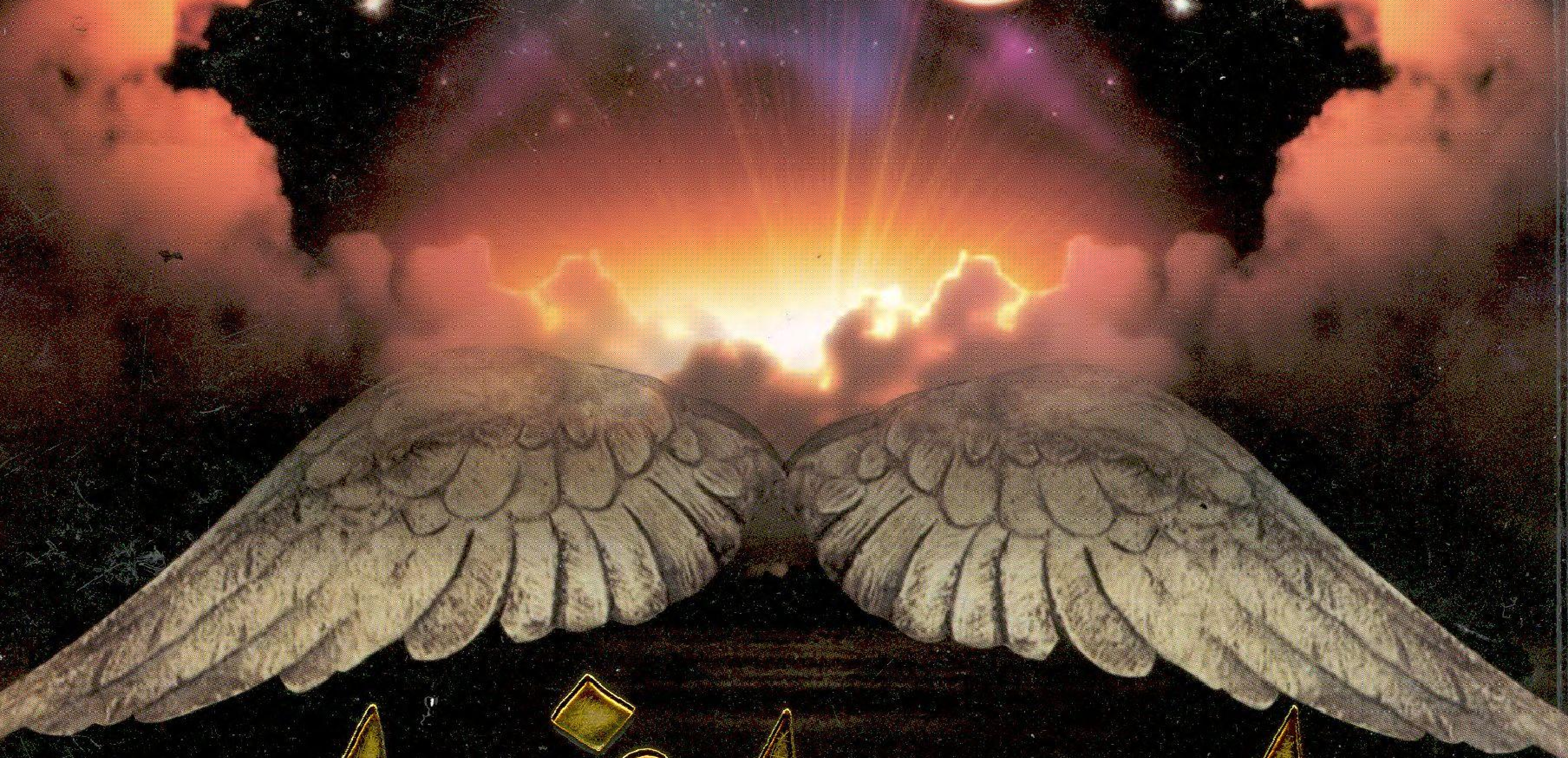


إسرافيل عليه السلام

صاحب الصور والقيامة الكبرى

فى التوراة والإنجيل والقرآن

منصور عبد الحكيم

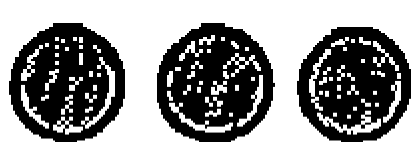
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

اسرافيل عليه السلام

صاحب الصور والقيامة الكبرى

فى التوراة والإنجيل والقرآن



اسم الكتاب : إسرافيل عليه السلام صاحب الصور والقيامة الكبرى

اسم المؤلف : منصور عبدالحكيم محمد

المراجعة اللغوية والتدقيق : طه عبدالرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٧/٢١٩٢٤

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 375 - 333 - 1

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا :

حلب : دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٧٠

دمشق : مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت : ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت : ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا ت : ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبه الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثانى - ت : ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



E-mail:darkitab2003@yahoo.com

E-mail:darkitab-Nassif@hotmail:com

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ٣٤٨٢٥ فاكس : ٢٢٤٧٢٩٧

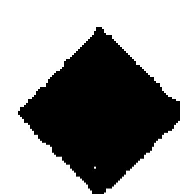
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس : ٢٣٩١٦١٢٢

لبنان - تلفاكس : ٠٥ / ٤٣٤١٨٦ - تليفون : ٠٣ / ٦٥٢٢٤١ - ص. ب ٣٠٤٣ الشويفات

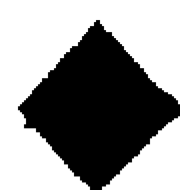
إسرافيل عليه السلام

صاحب الصور والقيامة الكبرى

فى التوراة والإنجيل والقرآن



منصور عبد الحكيم



الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾

(الزمر: (٦٨).

وقال ﷺ: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ، وأحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يُؤْمَر أن ينفخَ، فينفخ).

قال المسلمون ـ الصحابة ـ: فكيف نقول يا رسول الله؟

قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربِّنا)(١).

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن، وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة.

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نِدَّ له، خالق الملائكة ذلك العالم النورانى، سبحانه وتعالى عما يصف المشركون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خير من بلغ عن ربه، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

صلوات ربى وسلامه عليه..

ثم أما بعد..

فيأتى هذا الإصدار عن أحد الملائكة الكرام والذى وكله الله بالنفخ فى الصور نفخات ثلاثة كى يعيش الإنس والجن أهوال يوم القيامة.

وقد سبق هذا الإصدار الكتاب الأول عن سلسلة الملائكة والإنسان فى الدنيا وفى الآخرة.

فكان كتاب جبريل عليه السلام فاتحة خير. ولا يسعنا هنا إلا أن نسجل الشكر والامتنان للأخ العزيز/ محمد وليد ناصيف صاحب فكرة كتاب «جبريل عليه السلام»، والشكر أيضاً لوالده الأستاذ الفاضل الناشر الكبير/ وليد ناصيف الذى

أضاف للفكرة الأولى العون المادى والأدبى والفكرى لباقى السلسلة وغيرها من الإصدارات السابقة فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

نسأل الله تعالى العون والسداد والتوفيق فى إخراج هذا العمل على خير وجه وأن يتقبله منا وسائر أعمالنا الأخرى ويجعلها فى ميزان حسناتنا يوم القيامة وأن تكون تلك الأعمال من العلوم التى ينتفع بها الناس وتصلنا حسناتها بعد الممات إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

منصور عبد الحكيم محمد

يناير سنة ٢٠٠٧

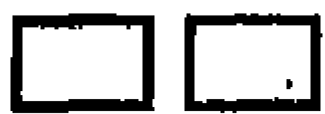
E.Mail: mansor-2455@yahoo.com.

ALSHEHKHMANSUR@HOTMAIL.com

1

إسرافيل عليه السلام في السُّنة النبوية والآثار الصحيحة ـ أخبار ودلالات

- ـ ما معنى إسرافيل؟
- ـ إسرافيل من الملائكة الكرام الكبار.
- ـ عِظم خَلق إسرافيل.
- ـ وصف إسرافيل.
- ـ إسرافيل لم يضحك منذ خلق الله النار.



ذكر إسرافيل عليه السلام فى أحاديث النبى ﷺ

جاء ذِكر إسرافيل فى أحاديث الرسول ﷺ ولم يأت ذكر اسمه فى القرآن وإنما ذُكر عمله دون التصريح باسمه بخلاف جْبريل وميكائيل عليهما السلام.

فقد صرح النبى ﷺ باسم إسرافيل فى أحاديث كثيرة.

وفى أحاديث أخرى ذكر عمله وصفته دون التصريح باسمه فى الحديث الشهير عنه حيث أطلق عليه «صاحب القرن» قال: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ - البوقَ أو الصورَ - وأحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يُؤمر أن ينفخ، فينفخ.

قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟.

قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا»(١).

وفى رواية أخرى قال ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يُؤمر به فينفخ».

قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قولوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا»(٢).

والقرن هو البوق الذى يُنفخ فيه.

---

(١) رواه الترمذى وسبق تخريجه فى أول الكتاب.

(٢) أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم والبيهقى فى البعث عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

وجاء فى وصفه قوله ﷺ: «إن طرف صاحب الصور مذ - أى منذ - وكل به مستعد ينظر حول العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان»(١).

وفى رواية ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

قال: قال رسول الله ﷺ: «مازال صاحبا الصور ممسكين بالصور ينتظران متى يؤمران»(٢).

وهذا الحديث يشير إلى أن صاحب البوق والصور ملكان وليس ملكا واحدا.

وأما أخباره عن أن صاحب البوق والصور هو إسرائيل فجاء فيما أخرجه أحمد فى المسند والحاكم وابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إسرافيل صاحب الصور، وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره».

وإسرافيل من الخلق الذين استثنى الله عز وجل بعد النفخ فى الصور نفخة الصعق، حيث قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾

(الزمر: ٦٨).

قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين استثنى الله عز وجل؟

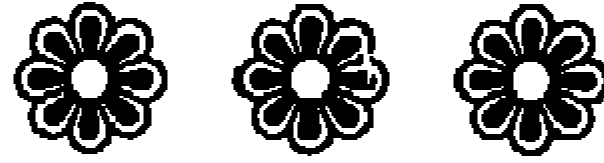
---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى: صحيح على شرط مسلم وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة باب صفة إسرافيل وما وكل به وأخرجه ابن مردويه أيضاً عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره أيضاً السيوطى فى كتابه أخبار الملائك.

قال: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل وحملة العرش... الحديث.[1]

وفى رواية البيهقى عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨). قال: فكان ممن استثنى الله عز وجل ثلاثة: جبريل وميكائيل وملك الموت... الحديث"



(١) أخرجه الفريابى وابن مردويه - وأبو نصر السجزى فى الإبانة والسيوطى فى أخبار الملائك، انظر أيضاً الدر المنثور للسيوطى.. وسيأتى ذكر الحديث بطوله فى الكتاب إن شاء الله تعالى.

إسرافيل من الملائكة الكبار والكرام الذين ذكرهم رسوله ﷺ في دعائه وأحاديثه

- عن عكرمة بن خالد أن رجلاً قال: يا رسول الله، أى الملائكةَ أكرم على وجه الله.

قال: لا أدرى.

فجاءه جبريل فقال: يا جبريل، أى الخلق أكرم على الله!

قال: لا أدرى.

فعرج جبرل ثم هبط فقال: جبريل وميكائيل، وإسرافيل وملك الموت

فأما جبريل فصاحب الحرب، وصاحب المرسلين، وأما ميكائيل: فصاحب كل قطرة تسقط، وكل ورقة تنبت وكل ورقة تسقط،

وأما ملك الموت: فهو موكل بقبض روح كل عبد فى بر أو بحر.

أما إسرافيل: فأمين الله بينه وبينهم.(١)

وسؤاله ﷺ جبريل عن أى الخلق أى من الملائكة الكرام ولذلك كان جواب جبريل عليه السلام بأسماء الملائكة الكبار، لأن أكرم الخلق على الإطلاق هو

(١) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة باب ذكر ميكائيل عليه السلام والطيران وعظمة خلقه، وذكره أيضاً السيوطى فى أخبار الملائك عنه.

النبى ﷺ.

ومن دعاء النبى ﷺ: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد أعوذ بك من النار».

كان يرددها ثلاثاً بعد الصلاة.(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت أن النبى ﷺ أغمى عليه ورأسه فى حجرها فجعلت تمسح وجهه وتدعو له بالشفاء - فى مرض موته - فلما أفاق قال:

«لا أبالى أسأل الله الرفيق الله الأعلى مع جبريل وميكائيل، وإسرافيل عليهم السلام.».(٢)

والحديث يشير إلى فضل إسرافيل وجبريل وميكائيل عليهم السلام وأنهم فى الرفيق الأعلى من جنات النعيم.

وجاء عن إسرافيل عليه السلام أنه من أقرب الملائكة إلى الله عز وجل، قال ﷺ:

« إن أقرب الخلق من الله جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وإنهم من الله لمسيرة خمسين ألف سنة، جبرائيل عن يمينه وإسرافيل عن الأخرى، وإسرافيل بينهما ».(٣)

وعن عمل إسرافيل عليه السلام إلى كونه المسؤول عن النفخ فى الصور كما ذكرنا أنه ينزل بالأمر من الله إلى الملائكة الآخرين ما ذكره ابن أبى شيبة وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة والبيهق فى الشُّعَب عن أبى سابط قال: يدبر أمر الدنيا أربعة:

جبريل وميكائيل، وملك الموت وإسرافيل،

فأما جبريل: فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل: فموكل بالقطر -

(١) الحديث أخرجه الطبرانى والحاكم فى مستدركه ولبزار كما فى مجمع الزوائد للهيثمى وقال: فيه ما لم أعرفه.

(٢) أخرجه أحمد فى كتابه الزهد.

(٣) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة باب ذكر ميكائيل عليه السلام ونقله عنه السيوطى فى أخبار الملائك.

المطر ـ والنبات.

وأما ملك الموت: فموكل بقبض الأرواح.

وأما إسرافيل: فهو ينزل بالأمر عليهم.

وتدبير أمر الكون ليس إلا بأمر الله عز وجل وهى مسؤولية توكل إلى كل ملك من الملائكة كما أن الإنسان موكل به عمارة الأرض، فأما الملائكة فإنهم يطيعون الله طاعة كاملة لا معصية فيهم بخلاف البشر.

أخرج أبو الشيخ عن ابن سابط قال فى أم الكتاب كل شىء هو كائن إلى يوم القيامة، ووكل ثلاثة من الملائكة أن يحفظوه، فوكل جبريل بالكتاب أن ينزل به إلى الرسل، ووكل جبريل أيضاً بالهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً، ووكله بالنصر عند القتال، ووكل ميكائيل بالحفظ والقطر ونبات الأرض، ووكل ملك الموت بقبض الأنفس، فإذا ذهبت الدنيا جمع من حفظهم وقابل أم الكتاب، فيجدونه سواءً[1].

وعن ابن عباس ﵄ قال: بينما رسول الله ﷺ ومعه جبريل يناجيه إذا انشق أفق السماء، فأقبل جبريل يتضاءل ويدخل بعضه فى بعض ويدنو من الأرض، فإذا ملك قد مثل بين يدى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام ويخيرك بين أن تكون نبيّاً ملكاً أو نبيّاً عبداً.

قال رسول الله ﷺ: فأشار جبريل إلىَّ بيده أن تواضع، فعرفت أنه لى ناصح.

فقلت: نبيّاً عبداً.

فعرج ذلك الملك إلى السماء، فقلت: يا جبريل، قد كنت أردت أن أسألك عن هذا، فرأيت من حالك ما شغلنى عن المسألة فمن هذا يا جبريل؟

قال: هذا إسرافيل خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافّاً قدميه لا يرفع طرفه، بينه وبين الرب سبعون نوراً، ما منها نور يدنو منه إلا احترق، بين يديه

---

(١) رواه ابن أبى شيبة، انظر السيوط فى أخبار الملائكة.

اللوح المحفوظ، فإذا أذن الله بشىء فى السماء أو فى الأرض ارتفع ذلك اللوح المحفوظ فضرب جبهته فينظر فيه ملك الموت أمره به.

قلت: يا جبريل، على أى شىء أنت؟

قال: على الرياح والجنود.

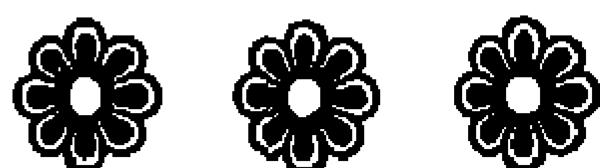
قلت: على أى شىء ميكائيل!

قال: على النبات والقَطْر.

قلت: على أى شىء ملك الموت؟

قال: على قبض الأنفس، وما ظننت أنه هبط إلا بقيام الساعة، وما ذاك الذى رأيت منى إلا خوفاً من قيام الساعة(١).

لقد ظن جبريل عليه السلام أن إسرافيل نزل فى وقت القيامة والنفخ فى الصور فحدث له ما حدث من الخوف والفزع ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ.



(١) أخرجه البيهقى فى الشُّعَب والطبرانى فى الكبير وأبو الشيخ فى العظمة وقال الهيثمى: فيه محمد بن أبى ليلى وقد وثقه جماعة ولكنه سئ المحفظ وبقية رجاله ثقات، انظر أخبار الملائك.

عِظمَ خلق إسرافيل

جاء فى وصفه وعظم خلقته ما ذكره جبريل عليه السلام للرسول ﷺ فيما أخرجه ابن المبارك فى الزهد عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له فى صورته، فقال جبريل:

إنك لن تطيق ذلك.

قال: إنى أحب أن تفعل.

فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فى ليلة مقمرة فأتاه جبريل فى صورته فغشى على رسول الله ﷺ حين رآه ثم أفاق وجبريل مسنده وواضع إحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال رسول الله ﷺ: -

ما كنت أرى شيئاً من الخلق هكذا!

فقال جبريل: «فكيف لو رأيت إسرافيل، إن له لاثنى عشر جناحاً، منها جناح فى المشرق وجناح فى المغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحيان لعظمة الله حتى يصير مثل الوصع(١) حتى ما يحمل عرشه إلى عظمته»(٢).

وفى رواية للبيهقى فى الدلائل ولابن سعد فى الطبقات أن حمزة بن عبد المطلب قال: يا رسول الله، أرنى جبريل فى صورته.

(١) الحبائك فى أخبار الملائك للسيوطى.

(٢) طائر صغير كالعصفور.

قال: إنك لا تستطيع أن تراه.

قال: بلى، فأرينه.

قال: فاقعد.

فقعد جبريل على خشبة كانت فى الكعبة فقال النبى ﷺ: ارفع طرفك فانظر.

فرفع طرفه، فرأى قدميه مثل الزبرجد الأخضر فخر مغشياً عليه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل فى حلة خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض(١).

وعن أبى مسعود أيضاً قال: رأى جبريلَ - أى النبى ﷺ فى صورته وله ستمائة جناح.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: وددت لو رأيتك فى صورتك قال: وتحب ذلك؟

قال: نعم.

قال: موعدك كذا وكذا من الليل ببقيع الغرقد.

فلقيه فى موعده، فنشر جناحاً من أجنحته فسد أفق السماء حتى ما يرى من السماء شىء(٢).

وقال ابن مسعود فى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٣).

قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل معلقاً رجليه، عليها الدر كأنه قطر المطر على البقْل.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة، والبقيع هو قبور أهل المدينة المنورة وهو بجوار المسجد النبوى وقد دفن فيه عشرة آلاف صحابى.

اسم إسرافيل ووصفه

أخرج الديلمى عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اسم جبريل عبد الله».

واسم ميكائيل عبيد الله.

واسم إسرافيل عبد الرحمن.

وذكر ابن جبير فى تفسيره وأبو الشيخ عن على بن حسين قال: اسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله، وإسرافيل عبد الرحمن، وكل شىء رجع إلى «إيل» فهو معبد لله عز وجل.

وكل اسم فيه «إيل» فهو معبد لله.

وروى ابن جرير الطبرى أيضاً عن عكرمة وغيره أنه قال: جبر وميك وإسراف: عبيد، وإيل: الله.

وقال ابن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما إنه قال: إنما كان قوله جبرائيل كقوله عبد الله، وعبد الرحمن.

وأخرج الطبرانى وغيره عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: إن رجلاً من اليهود قال: يا رسول الله، أخبرنى عن ملك الله الذى يليه قال:

إن الملك الذى يليه: إسرافيل، ثم جبريل، ثم ميكائيل، ثم ملك الموت عليهم السلام»(١).

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عبد المنعم بن إدريس كذبه أحمد وقال ابن حبان: يضع الحديث، انظر مجمع الزوائد للهيثمى.

وعن وصف إسرافيل
فى السنـة النبويـة

عن عبد الله بن رباح أن كعباً قال لعائشة رضي الله عنها: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول فى إسرافيل شيئاً؟

قالت: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«له أربعة أجنحة منها: جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، واللوح بين عينه فإذا أراد الله أن يكتب الوحى ينقر بين جبهته».(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أن ملكاً من حملة العرش يقال له: إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه من الأرض السابعة السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا».

وأخرج البهيقى فى شعب الإيمان عن المطلب أن رسول الله ﷺ قال:

قلت لجبريل: يا جبريل مالى لا أرى إسرافيل لا يضحك، ولم يأتنى أحد من الملائكة إلا ورأيته يضحك؟

قال جبريل: ما رأينا ذلك الملك ضاحكاً منذ خلقت النار.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة باب صفة إسرافيل عليه السلام.

(٢) أخرجه أبو الشيخ وأبو النعيم فى الحلية.

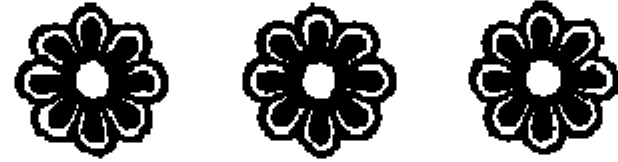
يا جبريل.. أقامت الساعة؟

إنه سؤال سأله النبى ﷺ لجبريل عليه السلام، فلماذا سأله!!

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمع النبى ﷺ هدَّة فقال يا جبريل !! أقامت الساعة؟!

قال: لا، هذا إسرافيل هبط إلى الأرض.

نعم إنه ملك عظيم عليه السلام.



ذكر إسرافيل عليه السلام فى الآثار

جاء ذكر إسرافيل فى الآثار سواء من مسلمة أهل الكتاب مثل كعب الأحبار وغيره من المسلمين وأصحاب السنن.

روى الطبرانى فى الأوسط وغيره عن عبدالله بن الحارث قال: كنت عند عائشة وعندها كعب الحبر[1]، فذكر إسرافيل، فقالت عائشة:

- أخبرنى عن إسرافيل؟

فقال كعب: عندكم العلم.

قالت: أجل، فأخبرنى.

قال: له أربعة أجنحة: جناحان فى الهواءوجناح قد تسربل به، وجناح على كاهله، والقلم على أذنه، فإذا أنزل الوحى كتب القلم، ثم درست الملائكة، وملك الصور أسفل منه جاث على إحدى ركبتيه وقد نصب الأخرى فالتقم الصور؟ محنى ظهره، وطرفه إسرافيل.

وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحيه أن ينفخ فى الصور.

(١) ويسمى كعب الأحبار وهو من أحبار اليهود الذين أسلموا زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخباره مستوحاة مما علمه من التوراة.

(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد: رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن، أنظر أيضاً أخبار الملائك للسيوطى.

فقالت عائشة: هكذا سمعت رسول الله ﷺ.(٢)

وتصديق عائشة رضي الله عنها كلام كعب الأحبار فى وصف إسرافيل وعمله فإنه دلالة على صدق ما أخبر به.

وفى هذا الأثر دلالة إلى أن هناك ملكاً آخر مع إسرافيل يتولان أمر البوق وقد ذكر أيضاً حديثاً يذكر هذا الأمر.

وما جاء فى ذكر إسرافيل ما ذكره السيوطى فى أخبار الملائك عن ابن أبى زمنين فى السنة عن كعب أيضاً قوله: إن أقرب الملائكة إلى الله إسرافيل وله أربعة أجنحة: جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب وقد تسرول بالثالث، والرابع بينه وبين اللوح المحفوظ، فإذا أراد الله أن يوحى أمراً جاء اللوح المحفوظ ويصفق جهة إسرافيل فيرفع رأسه فينظر فإذا مكتوب فينادى جبريل فيلبيه فيقول:

أمرت بكذا، أمرت بكذا.

فلا يهبط جبريل من سماء إلى سماء إلا فزع أهلها مخافة الساعة حتى يقول جبريل: -

الحق من عند الحق.

فهبط على النبى فيوحى إليه.

وكذلك أخرج أبو الشيخ فى العظمة باب ذكر ربنا تبارك وتعالى عن أبى بكر الهذلى قال: ليس شىء من الخلق أقرب إلى الله من إسرافيل، وبينه وبين الله سبعة حجب، وله جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، وجناح فى الأرض السابعة، وجناح عند رأسه، وهو واضع رأسه بين جناحه.

فإذا أمر الله بالأمر تدلت الألواح على إسرافيل بما فيها من أمر الله فينظر فيها إسرافيل ثم ينادى جبريل فيجيبه فلا يسمع صوته أحد من الملائكة إلا صعق، فإذا أفاقوا قالوا: ماذا قال ربكم!

قالوا : الحق وهو العلى الكبير.

وإن ملك الصور الذى وكل به إن إحدى قدميه لفى الأرض السابعة وهو جاث على ركبته شاخص بصره إلى إسرافيل ما طرف منذ خلقه الله ينظر متى يشير إليه فينفخ فى الصور..(١)

وفى هذا الأثر يتحدد عمل إسرافيل من كونه صاحب الصور الذى وكله الله به ويعمل معه ملك آخر أو أكثر، والله أعلم.

وذكر ابن كثير رحمه الله فى تفسيره لقوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سورة سبأ ٢٣).

فإذا كان كذلك سأل بعضهم بعضاً ـ أى الملائكة ـ ماذا قال ربكم؟

فيخبر بذلك حملة العرش الذين يلونهم ثم الذين يلونهم لمن تحتهم حتى ينتهى الخبر إلى أهل السماء الدنيا، ولهذا قال تعالى ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ أى أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان.

قال البخارى عند تفسير هذه الآية الكريمة فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه يقول إن النبى ﷺ قال: «إذا قضى الله تعالى الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير.

فيسمعها مسترق السمع ـ أى من الشياطين ـ ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض يتسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن

(١) انظر المصدر السابق للسيوطى، وقد أيد هذا الرأى الحديث الذى ذكرنا واخرجه ابن ابى حاتم «مازال صاحبا الصور ممسكين بالصور ينتظران متى يؤمران» والله أعلم وصاحب الصور مثل ملك الموت الذى وكل بقبض الأرواح ويساعده ملائكة آخرون وذلك بنص القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٦).

يلقيها وربما ألقاها قبل يدركه، فيكذب معها مائة كذبة.

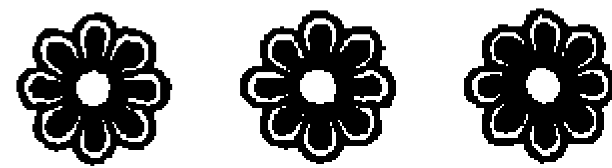
فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التى سُمعت من السماء.

وفى رواية أخرى قال ﷺ:

«إذا أراد تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحى، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة من خوف الله تعالى فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا أو خروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضى به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟

فيقول عليه السلام: قال الحق وهو العلى الكبير.

فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهى جبريل بالوحى حيث أمره الله تعالى من السماء[1].

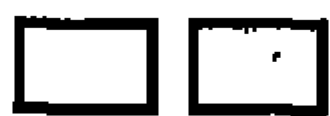


(١) انظر تفسير ابن كثير وابن جرير الطبرى وابن أبى حاتم أيضاً.

2

ونفخ في الصور

- الصور الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام.
- عدد مرات النفخ فى الصور.
- يوم الجمعة والنفخ فى الصور نفخة الصعق ونفخة البعث ووقت نفخة الصعق.



الصور الذى ينفخ فيه

إسرافيل عليه السلام

ذكرنا أن الصور هو البوق أو القرن الذى ينفخ فيه فيحدث صوتاً عالياً وكان يستخدمه الإنسان فى مناسبات كثيرة فى القرون السابقة وخاصة فى الحروب، وأيضاً يستخدم البوق بشكل حديث فى عصرنا الحالى وهو من آلات النفخ، ويسمى فى معسكرات الجيش «البروجى» لتنبيه المجندين فى المعسكرات صباحاً للقيام من النوم والاستعداد للتدريب.

والصور فى لغة العرب يعنى القرن وهذا ما ذكره النبى ﷺ حين سئل عنه من أعرابى فقال له الأعرابى: ما الصور؟.

قال له ﷺ: الصور قرن يُنفخ فيه(١).

والقرن يتخذ من الحيوانات أى قرون الحيوانات كالماعز والماشية وغيرها.

وجاء عن الحسن البصرى رحمه الله قوله عن الصور والنفخ فيه أن المراد بالنفخ فى الصور إعادة الأرواح للأجساد.

قال تعالى فى سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

فالنفخة الأولى التى ذكرت فى الآية هى نفخة الصعق والأخرى هى للبعث

---

(١) رواه الترمذى فى سننه وأبو داود وأحمد فى المسند والحاكم فى المستدرك وابن حبان فى سننه وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وأيضاً الترمذى.

وهناك نفخة أخرى هى نفخة الفزع كما سيأتى ذكر أنواع النفخ فى الصور.

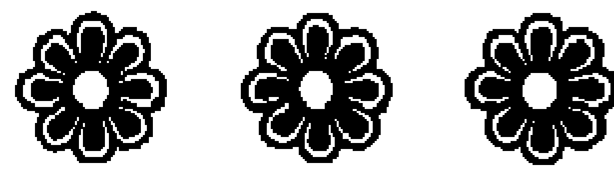
وقد ذكرنا أن النافخ فى الصور هو إسرافيل عليه السلام وقد جاء فى الآثار والأحاديث أن هناك من يقوم بهذا الأمر مع إسرافيل ولا شىء فى ذلك فالمسؤول الأول هو إسرافيل كما يحدث مع ملك الموت الموكل بقبض أرواح الأحياء مثلاً يقوم معه ملائكة آخرون لكن الأمر ينسب إليه.

قال ﷺ: إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه عيناه كوكبان دُريان»(١).

وقد ذكرنا الأحاديث التى ذكر فيها النبى ﷺ أن النافخ فى الصور هو إسرافيل عليه السلام.

قال صاحب فتح البارى ابن حجر العسقلانى رحمه الله:

اشتُهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام، ونقل فيه الحليمى الإجماع، ووقع التصحيح به فى حديث وهب بن منبه وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى، وفى حديث أبى هريرة عند ابن مردويه وكذا فى حديث الصور الطويل الذى أخرجه الطبرى.(٢)



(١) رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة.

(٢) ذكرنا تلك الأحاديث فى الفصل السابق، وقد روى حديث الصور جمع من الأئمة فى كتبهم مثل ابن جرير فى التفسير والبهيقى فى البعث والنثور والمدنى فى المطولات وقد تكلم فيه وفى بعض سياقه نكارة واختلاف وسيأتى ذكره إن شاء الله.

عدد مرات النفخ فى الصور

اختلف أهل العلم فى عدد مرات النفخ فى الصور على رأيين الأول أن عدد مرات النفخ فى الصور اثنتان والآخر ثلاث مرات.

فالرأى الأول يستدل بقوله تعالى:﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨).

فالآية تذكر نفختين فى الصور الأولى نفخة الصعق والتى تقضى على جميع الخلق إلا ماشاء الله منهم، ثم النفخة الثانية وهى نفخة البعث والقيام للحساب، وجاء ذكرهما فى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (النازعات: ٦ ـ ٧).

فسميت الأولى «بالراجفة» والنفخة الثانية «بالرادفة».

وفى الحديث النبوى المتفق عليه قوله ﷺ «ما بين النفختين أربعون».

والزمن هنا يتحدد بقياس وزمان الآخرة وليس بزمان الدنيا.

وأما الرأى الآخر، فيرى أن صاحب البوق ينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق ونفخة البعث والقيام لرب العالمين.

واستدلوا واحتجوا بحديث الصور الذى أخرجه الطبرى وفيه: «ثم ينفخ فى الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين».[1]

(١) ضعف هذا الحديث ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى جـ١١.

وجاء فى تفسير ابن كثير. رحمه الله. أن عدة مرات النفخ فى الصور ثلاث فى تفسير آية سورة النمل ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: ٨٧).

فقال ابن كثير رحمه الله: يخبر الله تعالى عن هول يوم نفخة الفزع فى الصور وهو كما جاء فى الحديث قرن ينفخ فيه، وفى حديث الصور أن إسرافيل هو الذى ينفخ فيه بأمر الله تعالى فينفخ فيه أولاً نفخة الفزع ويطولها وذلك فى آخر عمر الدينا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا ما شاء الله وهم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ٧٣)، ثم بعد ذلك بمدة يأمر الله تعالى فينفخ فى الصور، فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم يأمره فينفخ فيه أخرى فيقوم الناس لرب العالمين(١).

وجاء ذكر نفخة الفزع فى سورة «يس» باسم «الصيحة» كما قال ذلك ابن كثير فى قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ (يس: ٤٨ ـ ٥٠).

قال ابن كثير فى تفسيره: أى ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة الفزع، ينفخ فى الصور نفخة الفزع والناس فى أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم فبينما هم كذلك إذ أمر الله عز وجل إسرافيل فنفخ فى الصور نفخة يطولها ويمدها فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتا ورفع ليتا وهى صفحة العنق يتسمع الصوت من قِبَلِ السماء.

(١) النهاية فى الفتن والملاحم جـ ١ ـ ابن كثير.

ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أى لا على ما يملكونه، الأمر أهم من ذلك، ﴿ وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ وقد وردت ههنا آثار وأحاديث ذكرناها فى موضع آخر ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التى تموت بها الأحياء كلهم ماعدا الحى القيوم ثم بعد ذلك نفخة البعث.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس: ٥١ ـ ٥٤).

وهكذا يأتى ذكر النفخة فى الصور باسم الصيحة «إن كانت إلا صيحة واحدة» وهى نفخة البعث والقيام للحساب أمام رب العالمين بعد الموت الذى لحق بالجميع بعد نفخة الصعق بكل الأحياء من خلق الله حيث يقومون بعد هذه النفخة سراعاً من الأجداث والقبور، و «ينسلون» هو المشى السريع.

قال أُبى بن كعب رضي الله عنه ومجاهد والحسن البصرى وقتادة ينامون نومة قبل البعث.

وهكذا نرى أن سورة يس تشير إلى ثلاثة نفخات فى الصور أشدها نفخة الصعق ولذلك فقد عبر الحق عز وجل عنها فى هذه السورة بالنفخ، وجاء ذكر النفختين الأخريين بالصيحة وهى لا تقل أهمية ولا قوة عن النفخ إلا أن نفخة الصعق كما دلت الآثار والأحاديث تكون طويلة.

إلا أن القارئ لقوله تعالى للآيات السابقة من سورة «يس» ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (يس: ٤٩)، يرى أن تلك الصيحة الواحدة تأخذ الناس أى تصعقهم وهم فى حياتهم اليومية فلا يرجعون إلى الحياة حتى يقومون بالتوصية، فقد انتهى الأمر، والذى يؤكد ذلك التفسير أن الآية التالية

فى السورة قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (يس: ٥١).

وبالتالى فإن الصيحة الأولى هى نفخة الصعق وبعدها تأتى نفخة البعث.

ثم تأتى الصيحة الواحدة مرة أخرى فى الآية التالية ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ تابعة لنفخة البعث وهى بمثابة النداء على الخلائق للوقوف أمام رب العالمين للحساب والجزاء لأن الآية التالية لها تقول ﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس: ٥٤).

هذا والله تعالى أعلى وأعلم(١).

ومن الذين يقولون إن النفخ فى الصور ثلاث مرات، نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث، ابن كثير وابن العربى وابن تيمية رحمهم الله تعالى.

وأما من يرى أن النفخ فى الصور يكون مرتين الأولى نفخة الصعق والثانية نفخة البعث والقيام للحساب القرطبى وابن حجر العسقلانى رحمهما الله.

قال ابن حجر العسقلانى: ولا يلزم من مغايرة الصعق الفزع أن لا يحصلا معاً من النفخة الأولى»(٢).

أى أنه رجح أن تكون نفخة الصعق هى نفسها نفخة الفزع أى تكون أول النفخة لكونها طويلة بعض الشىء كما جاء بذلك الحديث النبوى ثم تنتهى بالصعق.

وهذا ما رجحه القرطبى أيضاً فى التذكرة: «ونفخة الفزع هى نفخة الصعق لأن الأمرين لازمين لها، أى فزعوا فزعاً ماتوا منه».

وبهذا نرى أنه لا تعارض بين الآراء والتفسيرات لعدد مضمون ومفهوم النفخ فى الصور.

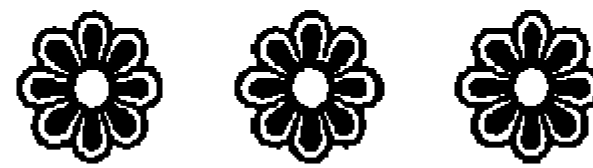
---

(١) لم يذكر ابن كثير فى تفسيره لهذه الآيات وجود ما يشير فيها إلى وجود نفخة الصعق وإنما وضع احتمالا أن تكون الصيحة الأولى هى نفخة الفزع كما ذكرنا.

(٢) انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى جـ ١١.

وقد فهم ابن حزم الظاهرى رحمه الله من مضمون آيات الفزع أنها أربع نفخات، نفخة إماتة ونفخة إحياء ونفخة فزع وصعق لا يموت منها أحد، ونفخة إفاقة من هذا الغشى الذى يصيب الناس من نفخة الفزع(١).

وهذا القول لابن حزم فيه تفصيل لعدد مرات النفخ الاثنتين أو الثلاث، فالمضمون عند الجميع واحد، والأهم من كل هذا أن فى عدد مرات النفخ يكون الصعق والموت لجميع الخلائق ثم البعث للقيام للحساب وهذا لم يختلف عليه أحد من أهل العلم.



(١) انظر المصدر السابق.

يـــوم الجمعـة هـو يـوم
نفخة الصعق ونفخة البعث

قال ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»(١).

وقال أيضاً: «فى يوم الجمعة» يُبعث العباد أيضاً.

فيوم الجمعة فيه نفخة الصعق ونفخة البعث.

قال ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قبض وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علىَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علىَّ»(٢).

فيوم الجمعة فيه أشياء عظيمة أثرت فى الحياة البشرية وفى حياة الأرض أيضاً دل عليها الحديث النبوى:

١ - ففى يوم الجمعة خلق الله آدم عليه السلام فى السماء كما نعرف من تربة الأرض.

٢ - ويوم الجمعة دخل آدم الجنة ليعيش فيها زمناً يعلمه الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود والنسائى والدارمى وابن ماجه والبيهقى والطبرانى فى الأوسط وفى الحلية لأبى نعيم بلفظ آخر قال ﷺ: عرضت علىَّ الأيام، فعرض علىَّ فيها يوم الجمعة فإذا هى كمرآة بيضاء فى وسطها نكتة سوداء، فقلت ما هذه؟

قيل: الساعة.

وقد رمز الشيخ الألبانى للحديث بالصحة فى صحيح الجامع.

٣ ـ ويوم الجمعة خرج آدم وحواء من الجنة بعد أن عصيا أمر الله وأكلا من الشجرة المحرمة.

٤ ـ ويوم الجمعة مات آدم عليه السلام على الأرض.

٥ ـ ويوم الجمعة تكون ـ إن شاء الله ـ نفخة الصعق كى يفنى الخلق كلهم فى الأرض وفى السماء.

٦ـ يوم الجمعة تكون نفخة البعث للخلق كلهم إن شاء الله تعالى.

وبالتالى فإن هناك أربعة أمور حدثت فى الماضى يوم الجمعة وبقى أمران هامان هما النفخ فى الصور للصعق والبعث وهما أمران فى المستقبل.

ولهذا نصحنا رسولنا ﷺ أن نكثر من الصلاة والسلام عليه يوم الجمعة لأن الصلاة والسلام على الرسول ﷺ من أشرف العبادات والقربى من الله والصلاة عليه معروضة، عليه صلوات ربى وسلامه عليه، فإذا حدثت القيامة يوم الجمعة تكون ونحن نصلى ونسلم على نبينا محمد ﷺ.

وفى يوم الجمعة ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى ويدعو الله إلا استجاب له.

قال ﷺ «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أُهبط وفيه تيب عليه، وفيه مات وفيه تقام الساعة، وما من دابة إلا وهى مصغية يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه».(١)

وهذا الحديث يضيف إلى فضل يوم الجمعة أن آدم عليه السلام تاب الله عليه يوم الجمعة من معصية الأكل من الشجرة المحرمة فى الجنة وقبل أن يهبط إلى الأرض، وأن الدواب تسبح لله وتكثر التسبيح يوم الجمعة خوفاً من قيام

(١) رواه أبو داود فى سننه والنسائى والترمذى وقال حديث صحيح ومالك فى الموطأ.

القيامة فيه إلا الإنس والجن فهم فى غفلة من أمرهم وأمر الساعة والقيامة.

وقال أيضاً صلوات ربى وسلامه عليه فى فضل يوم الجمعة:-

سيد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى، وفيه خمس خلال:

- خلق الله فيه آدم.

- وفيه توفى الله آدم.

- وفيه ساعة لايسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أتاه، الله إياه، ما لم يسأل حراماً.

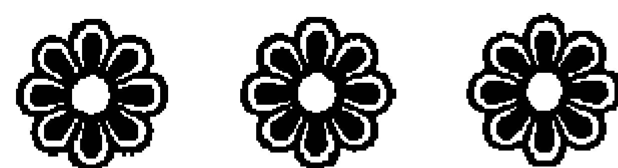
- وفيه تقوم الساعة.

وما من ملك مقرب فى سماء، ولا أرض، ولا جبال، ولابحر، إلا وهو يشفق من يوم الجمعة».(١)

وروى الطبرانى عن ابن عمر ﵄ مرفوعاً:

«إن القيامة تقوم وقت الأذان للفجر من يوم الجمعة».

وذكر القرطبى رحمه الله فى التذكرة أن ذلك يوم جمعة للنصف من شهر رمضان، دون استناد إلى دليل يؤيد قوله. والله تعالى أعلم.

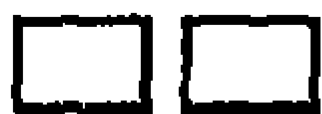


(١) رواه ابن ماجه وذكره ابن كثير فى النهاية فى الملاحم والفتن جـ١

3

الصور فى القرآن والسنة النبوية

- ذكر الصور فى القرآن الكريم.
- ذكر حديث الصور الطويل الذى ذكره ابن كثير فى كتابه نهاية البداية والنهاية.



ذكر الصور فى القرءان الكريم

جاء ذكر الصور فى القرءان الكريم عشر مرات، وهو الأداة التى سيتم النفخ فيها كما ذكرنا:

١ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ **(الأنعام:٧٣).**

٢ـ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ **(الكهف: ٩٩).**

٣ـ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ **(طه:١٠٢).**

٤ـ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ **(المؤمنون:١٠١).**

٥ـ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ **(النمل:٨٧).**

٦ـ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ **(يٓس:٥١).**

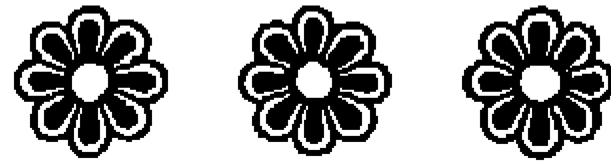
٧ـ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾

(الزمر:٦٨).

٨ ـ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ (ق:٢٠).

٩ ـ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (الحاقة:١٣).

١٠ ـ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (النبأ:١٨).



ذكر حديث الصور الطويل كما أورده ابن كثير فى الفتن والملاحم: (النهاية) من كتابه (البداية والنهاية)

والحديث يتعرض لمشاهد عديدة يوم القيامة وقد ضعفه أهل الحديث ومنهم إبن حجر العسقلانى فى فتح البارى، إلا أن بعض شواهد الحديث من الأحاديث الصحيحة وإليك الحديث بتمامه والتعليق على إسناده وصحته كما أفاد أهل الحديث:

قال الحافظ أبو يعلَى الموصلى فى مسنده: حدثنا عمر بن الضحاك بن مجالد: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مجالد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع: عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظى، عن رجل من الأنصار، عن أبى هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه قال:

«إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض، خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخصاً إلى العرش ببصره، ينتظر متى يؤمر؟

قال: قلت: يا رسول الله ما الصور؟

قال: قرن

قال: كيف هو؟

قال: عظيم

قال: والذى بعثنى بالحق إن عظم دائرة فيه لعرض السموات والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات، الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع: فيفزع أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله، ويأمره تعالى فيمدها ويطليها ولا يفتر، وهى التى يقول الله فيها:

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ (ص: ١٥)

فتسير الجبال سير السحاب، فتكون سرابا، وترتج الأرض بأهلها رجا، فتكون كالسفينة فى البحر، تضربها الأمواج، تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الأرواح، ألا وهو الذى يقول الله تعالى فيه.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات:٦ ـ ٨)

فتميد الأرض بأهلها، وتذهل المراضع، وتضع كل الحوامل، وتشيب الولدان، ويطير الناس هاربين من الفزع، فتلقاهم الملائكة، فتضرب وجوههم فيرجعون.

ثم يولون مدبرين، ما لهم من الله من عاصم، ينادى بعضهم بعضاً، فبينما هم على ذلك، إذ تصدعت الأرض بصدعين، من قطر إلى قطر، فرأوا أمراً عظيماً، لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم، نظروا فى السماء فإذا هى كالمهل، ثم انشقت السماء، فانتثرت نجومها، وقمرها، قال رسول الله ﷺ.

«الأموات لا يعلمون بشىء من ذلك».

قال أبوهريرة: من استثناه الله حين يقول «ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله» قال: أولئك الشهداء: وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، وهم أحياء عند ربهم يرزقون، فوقاهم الله فزع ذلك اليوم، وآمنهم منه وهو عذاب الله، يبعثه على شرار خلقه وهو الذى يقول فيه:

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

فيمكثون فى ذلك العذاب ما شاء الله، إلا أنه يطول، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق؛ أهل السموات والأرض؛ إلا من شاء الله؛ فإذا هم خمدوا، جاء ملك الموت إلى الجبار؛ فيقول: يا رب: مات أهل السموات والأرض إلا من شئت:

فيقول الله: وهو أعلم بمن بقى؛ فمن بقى؟

فيقول: يا رب: بقيت أنت الحى الذى لا تموت: وبقيت حملة عرشك؛ وبقى جبريل وميكائيل؛ وبقيت أنا؛ فيقول الله: ليمت جبريل وميكائيل

فينطق الله العرش

فيقول: يا رب يموت جبريل وميكائيل؟

فيقول: اسكت: فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى:

فيموتان، ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل؛ فيقول: يا رب: قد مات جبريل وميكائيل؛ وبقيت أنا وحملة العرش فيقول الله: فليمت حملة عرشى؛ فيموتون.

ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار؛ فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك.

فيقول: وهو أعلم بمن بقى: فمن بقى؟

فيقول يا رب أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا:

فيقول الله: أنت خلق من خلقى، خلقتك لما رأيت؛ فمت، فيموت، فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد؛ الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد؛ كان آخرا كما كان أولا، طوى السموات والأرض؛ كطى

السجل للكتاب، ثم دحاها ثم لفها ثلاث مرات.

وقال: أنا الجبار، ثلاثاً.

ثم هتف بصوته: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات فلا يجيبه أحد.

فيقول لنفسه: لله الواحد القهار.

ويبدل الله الأرض غير الأرض والسموات، فيبسطها، ويسطحها، ويمدها مد الأديم العكاظى، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

ثم يزجر الله الخلق زجرة، فإذا هم فى مثل ما كانوا فيه فى الأولى، من كان فى بطنها كان فى بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها.

ثم يُنزل الله عليكم ماءً من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً، حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً.

ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت.

قال الله: ليحيى جبريل وميكائيل: فيحييان، ثم يدعو الله بالأرواح، فيؤتى بها تتوهج؛ أرواح المسلمين نوراً، والأخرى ظلمة؛ فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها فى الصور.

ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث؛ فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض.

فيقول الله: وعزتى وجلالى، ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد، فتدخل فى الخياشيم، ثم تمشى فى الأجساد مشى السم فى اللديغ؛ ثم تنشق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تنسلون.

﴿مُهْطِعِينَ(١) إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر: ٨).

---

(١) المهطعون: الناظرون فى خضوع وذل.

حفاة، عراة، غلفا غرلا (غير مختونين)، ثم تقفون موقفاً واحداً، مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم، ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع. ثم تدمعون دماء وتعرقون حتى يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم، أو يبلغ الأذقان فتضجون، وتقولون: من يشفع لنا إلى ربنا ليقضى بيننا؟

فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم؟ خلقه الله بيده؛ ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلا. فيأتون آدم، فيطلبون إليه ذلك، فيأبى، فيقول:

ما أنا بصاحب ذلك: ثم يسعون للأنبياء نبيّاً نبيّاً، كلما جاءوا نبيّاً أبى عليهم قال رسول الله ﷺ:

«حتى تأتونى، فأنطلق، حتى آتى الفحص؛ فأخر ساجداً.

قال أبو هريرة: يا رسول الله: ما الفحص؟

قال: موضع قدام العرش: حتى يبعث الله إلى ملكاً، فيأخذ بعضدى، فيرفعنى، فيقول لى: يا محمد:

فأقول: نعم: لبيك يا رب:

فيقول ما شأنك؟ - وهو أعلم -

فأقول: يا رب وعدتنى الشفاعة، فشفعنى فى خلقك، فاقض بينهم.

فيقول شفعتك، أنا آتيكم، فأقضى بينكم».

قال رسول الله ﷺ:

«فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف، إذ سمعنا حسّاً من السماء شديداً، فينزل أهل السماء الدنيا مثل من فى الأرض من الجن والانس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض، بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت.

ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى فى ظلل من الغمام والملائكة، ويحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل من تسبيحهم.

يقولون: سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان الحى الذى لا يموت، سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت.

فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه.

ثم يهتف بصوته، فيقول: يا معشر الجن والإنس، إنى قد أنصت لكم من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع قولكم، وأرى أعمالكم، فأنصتوا إلى، فإنما هى أعمالكم، وصحفكم، تقرأ عليكم. فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم» ثم يقول:

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (يس: ٦٠: ٦٤).

فيميز الله الناس وينادى، الأمم، داعياً لكل أمة إلى كتابها، والأمم جاثية من الهول: قال الله تعالى:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(الجاثية: ٢٨).

فيقضى الله بين خلقه إلا الثقلين، الإنس والجن، فيقضى بين الوحوش والبهائم، حتى إنه ليقيد الجماء من ذات القرن، فإذا فرغ الله من ذلك، فلم تبق

تبعة عند واحدة لأخرى، قال الله لها: كونى تراباً: فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتنى كنت ترابا: ثم يقضى الله بين العباد.

فيكون أول ما يقضى فيه الدماء.

فيأتى كل قتيل فى سبيل الله، ويأمر الله من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه، فيقول: يا رب فيم قتلنى هذا؟.

فيقول الله تعالى: وهو أعلم فيم قتلته؟.

فيقول: قتلته يا رب لتكون العزة لك:

يقول الله: صدقت:

فيجعل الله وجهه مثل نور السموات.

ثم تسبقه الملائكة إلى الجنة، ثم يأتى كل من كان قتل على غير ذلك ويأمر من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه، فيقول يا رب فيم قتلنى هذا؟ فيقول الله وهو أعلم: فيم قتلته؟.

فيقول: يا رب قتلته لتكون العزة لى.

فيقول الله: تعست.

ثم ما تبقى نفس قتلها قاتل إلا قُتل بها، ولا مظلمة إلا أُخذ بها.

وكان فى مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء رحمه.

ثم يقضى الله بين من بقى من خلقه، حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم، حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء أن يخلص اللبن من الماء.

فإذا فرغ الله من ذلك، نادى مناد يسمع الخلائق كلهم، فقال: ليلحق كل، قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد عَبد من دون الله

شيئاً إلا مثلت له الهيئة بين يديه، فيجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى، فيتبع هذا اليهود، ويتبع هذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار فهذا الذى يقول الله تعالى:

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٩).

فإذا لم يبق إلا المؤمنون، فيهم المنافقون، جاءهم الله فيما شاء من هيئة، فقال: يا أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم، وما كنتم تعبدون.

فيقولون والله ما لنا إلا الله، ما كنا نعبد غيره، فينصرف عنهم - وهو الله - فيمكث ما شاء الله أن يمكث.

ثم يأتيهم فيقول: يا أيها الناس، ذهب الناس، فالحقوا بآلهتكم، وما كنتم تعبدون.

فيقولون: والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فيكشف عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم، فيخرون سجداً على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله أصلابهم كصياصى[1] البقر.

ثم يأذن الله لهم فيرفعون رؤوسهم، ويضرب الله بالصراط بين ظهرانى جهنم، كقد الشعر، أو كعقد الشعر، وكحد السيف، عليه كلاليب وخطاطيف، وحسك كحسك السعدان، ودونه جسر دحض مزلة فيمرون كطرف البصر، أو كلمح البرق، أو كمر الريح، أو كجياد الخيل، أو كجياد الركاب، أو كجياد الرجال، فناج سالم. وناج مخدوش، ومكدوح على وجهه فى جهنم.

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة.

قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فيدخلنا الجنة؟

فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم؟ إنه خلقه الله بيده. ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلا.

---

(١) الصياصى: جمع صيصة وهى قرن البقرة.

فيأتون آدم، فيطلبون ذلك إليه، فيذكر ذنباً، ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بنوح، فإنه أول رسله إلى خلقه.

فيؤتى نوح، فيطلبون ذلك إليه فيذكر شيئاً ويقول: ما أنا بصاحبكم، عليكم بموسى.

فيطلبون ذلك إليه فيذكر ذنباً، ويقول لست بصاحب ذلك، ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم.

فيطلبون ذلك إليه، فيقول ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بمحمد ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: فيأتونى، ولى عند ربى ثلاث شفاعات وُعدتهن، فأنطلق فآتى الجنة، فآخذ بحلقة الباب، ثم استفتح فيفتح لى، فأُحَيَّا ويرحب بى، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربى عز وجل خررت له ساجداً، فيأذن الله لى من حمده ومجده بشىء ما أذن به لأحد من خلقه.

ثم يقول لى الله: ارفع رأسك يا محمد: واشْفَعْ تُشَفَّع، وسل تُعط، فإذا رفعت رأسى قال الله: وهو أعلم ما شأنك؟

فأقول: يارب، وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة، يدخلون الجنة.

فيقول الله عز وجل: قد شفعتك، وأذنت لهم فى دخلول الجنة.

فكان رسول الله ﷺ يقول:

«والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم».

فيدخل كل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة كما ينشئهن الله، وثنتين آدميتين، لهما فضل على من شاء الله بعبادتهماالله فى الدنيا، يدخل على الأولى منهما فى غرفة من ياقوتة، على سرير من ذهب، مكلل باللؤلؤ. له سبعون درجة من سندس وإستبرق، ويضع يده بين كتفيها.

ثم ينظر من صدرها ما وراء ثيابها من جلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى لحم ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوتة، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها، لا يملها ولا تمله إذ نودى: إنا قد عرفنا أنك لا تَمل، ولا تُمل، إلا أن لك أزواجاً غيرها، فيخرج، فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت والله ما فى الجنة أحسن منك، وما فى الجنة شىء أحب إلىّ منك.

قال: وإذا وقع أهل النار فى النار، وقع فيها خلق من خلق ربك، أوبقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذه إلى قدميه لا يجاوز ذلك منهم، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذ جسده كله، إلا وجهه قد حرم الله صوره عليها.

قال رسول الله ﷺ: فأقول: يا رب شفعنى فيمن وقع فى النار من أمتى، فيقول الله عز وجل: أخرجوا من عرفتم.

فيخرج أولئك، حتى لا يبقى منهم أحد.

ثم يأذن الله لى فى الشفاعة، فلا يبقى نبى ولا شهيد إلا شفع.

فيقول الله: أخرجوا من وجدتم فى قلبه زنة الدينار إيماناً، فيخرج أولئك، حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يشفع الله فيقول أخرجوا من وجدتم فى قلبه إيماناً ثلثى دينار.

ثم يقول: وثلث دينار، ثم يقول: قيراطاً.

ثم يقول: حبة من خردل: فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، وحتى لا يبقى فى النار من عمل لله خيراً قط، وحتى لا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع، حتى إن إبليس ليتطاول لما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له.

ثم يقول الله: بقيت أنا وأنا، أرحم الراحمين، فيدخل يده فى جهنم، فيخرج منها ما لا يحصيه غيره، كأنهم حب فيبثهم الله على نهر يقال له نهر الحيوان.

فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل، مما يلى الشمس أخضر، ومما يلى الظل منها أصفر.

فينبتون حتى يكونوا أمثال الدر، مكتوباً فى رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن عز وجل يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب، ما عملوا لله خيراً قط، فيبقون فى الجنة.

إلى هنا كان فى أصل أبى بكر العربى، عن أبى يَعْلَى رحمه الله، وهو حديث مشهور، رواه جماعات من الأئمة فى كتبهم، كابن جرير فى تفسيره، والطبرانى فى المطولات، والحافظ البيهقى فى كتابه «البعث والنشور» والحافظ أبى موسى المدينى فى المطولات أيضاً من طرق متعددة عن إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، **وقد تُكلم فيه بسببه وفى بعض سياقه نكارة واختلاف.**

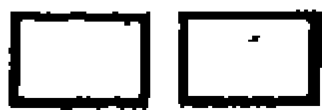
قال ابن كثير رحمه الله: وإسماعيل بن رافع المدينى ليس فى الوضاعين، وكأنه جمع هذا الحديث من طرق وأماكن متفرقة، فجمعه وساقه سياقة واحدة، فكان يقص به على أهل المدينة، وقد حضره جماعة من أعيان الناس فى عصره ورواه عنه جماعة من الكبار كأبى عاصم النبيل والوليد بن مسلم، ومكى بن إبراهيم، ومحمد بن شعيب بن سابور، وعبده بن سليمان، وغيرهم، واختلف عليه، فتارة يقول: عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب، عن رجل، عن أبى هريرة، وتارة يسقط الرجل، وقد رواه إسحاق بن راهويه، عن عبدة بن سليمان، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن زيد، عن أبى زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب، عن رجل من الأنصار، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ بطوله.

ومنهم من أسقط الرجل الأول، قال الحافظ المزى: وهذا أقرب، قال: وقد رواه عن إسماعيل بن رافع عن الوليد بن مسلم، وله عليه مصنف، بين شواهده من الأحاديث الصحيحة وقال الحافظ أبو موسى المدينى بعد إيراده له بتمامه: **وهذا الحديث وإن كان فى إسناده من تكلم فيه فعامة ما فيه يروى مفرقاً من أسانيد ثابتة ثم تكلم على غريبه.**

4

أهوال النفخة الأولى

- الفزع
- الصعقة
- الزلزلة



من أهوال النفخة الأولى
الفزع والصعقة والزلزلة

متى الساعة؟

إنها من الغيب المطلق الذى لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه وتعالى.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟

قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث.

قال: وما الإسلام؟

قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان.

قال: وما الإحسان.

قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: متى الساعة؟

قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها:

- إذا ولدت الأمة رَبَّها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن إلا الله.

ثم تلا النبى ﷺ:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(لقمان: ٣٤).

ثم أدبر فقال: ردوه.

فلما يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم(١).

وفى رواية مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن ذات يوم عند رسول الله ﷺ إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر... الحديث.

وفيه قول جبريل عليه السلام: فأخبرنى عن الساعة؟

قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

قال: فأخبرنى عن أماراتها.

قال: أن تلد الأمةُ ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان.

وهكذا أجاب الرسول ﷺ بجواب قاطع لجبريل أن الساعة لا يعلمها إلا الله عز وجل وإنما أخبره عن بعض أماراتها التى تدل على قرب وقوعها.

وقد ذكر الحق عز وجل بعض أهوال الساعة التى تحدث قبل نفخة الصعق، ولعلها تكون عقب نفخة الفزع فى قوله تعالى فى سورة الزلزلة:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة).

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم أيضاً وغيرهما.

قال ابن عباس ﵁: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» أى تحركت من أسفلها «وأخرجت أثقالها» يعنى ألقت ما فيها من الموتى وقال غير واحد من السلف[١] وهذه كقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١).

قال ﷺ: «تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت، ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى، ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً»[٢].

عن أبى هريرة ﵁ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية:

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

قال أتدرون ما أخبارها؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أَمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا فهذه أخبارها[٣].

وقوله تعالى:

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قال البخارى وأوحى لها وأوحى إليها ووحَّى لها ووحى إليها واحد.

وقال ابن عباس: أوحى لها أى أوحى إليها.

«وقال الانسان ما لها؟» أى استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة

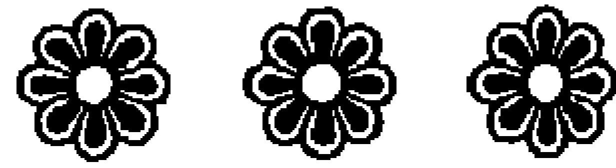
---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه.

(٣) رواه أحمد فى المسند والترمذى والنسائى واللفظ له، وقال الترمذى، حديث حسن صحيح غريب.

وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلها عن حالها المعتادة[1].

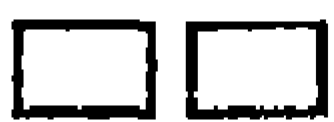


(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ بتصرف.

5

إلا من شاء الله

- الباقون بعد نفخة الصعق
- ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.
- مشاهد الحياة على الأرض ساعة النفخ فى الصور.
- آخر الأمر على الأرض نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.



«إلا من شاء الله».. الباقون بعد النفخ فى الصور «النفخة الأولى»

مع اختلاف العلماء فى عدد مرات النفخ فى الصور، فإن الاتفاق على حدوث نفخة الصعق ونفخة البعث، إلا أن الاختلاف على الباقين من النفخة الأولى اشتد بين أهل التفسير والعلم فى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾

(الزمر: ٦٨).

والآية تتحدث عن نفخة الصعق.

فذهب البعض إلى أن الأموات لا يصعقون مع نفخة الصعق لكونهم أموات لا إحساس لهم، وإن الإنسان يموت مرة واحدة بالجسد والروح لقوله تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ﴾ (الدخان: ٥٦).

وقد رجح ابن قيم الجوزية رحمه الله فى كتابه المسمى «الروح» أن موت الأرواح بمفارقة الأجساد وخروجها منها ولكنها لا تفنى كما يفنى الجسد وتبقى معذبة أو منعمة فى عالم البرزخ.

لكن هناك من يرى أن الإنسان يموت فى الحياة الدنيا مرتين مرة بالجسد وأخرى بالروح، فالموت بالجسد هو مفارقة الروح للجسد فى الدنيا وهو الموتة الأولى لقوله تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ﴾

(الدخان: ٥٦).

ثم تكون الموتة الأخرى للروح عند النفخ فى الصور نفخة الصعق، وهذا هو تفسير الصعق بالغشى كما جاء فى قوله تعالى:﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (الأعراف: ١٤٣).

فالروح هنا لم تصعق وإنما تم استثناؤها من الله عز وجل عندما رأى موسى عليه السلام تجلى ربه للجبل.

وذهب البعض أن الذى يصعق صعق يغشى عليه هم الشهداء دون غيرهم من الأموات ومعهم الأنبياء، لكون الشهداء بعد قتلهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وتلك صفة من صفات الأحياء فى الدنيا(١).

ويرى البهيقى أن الأنبياء والشهداء إذا نفخ فى الصور صعقوا ثم لا يكون ذلك موتاً فى جميع معانيه، إلا فى ذهاب الاستشعار وقد جوز النبى ﷺ أن يكون موسى ممن استثنى الله تعالى فإن كان منهم فإنه لا يذهب استشعاره فى تلك الحالة بسبب ما وقع فى صعقة الصور(٢).

وذهب ابن حزم الظاهرى بأن جميع الملائكة ممن لا يصعقون فى نفخة الصعق لأنهم أرواح لا أرواح فيها ولا يموتون أصلاً.

وهذا الرأى مردود عليه بأن الملائكة خلق من خلق الله ويجوز عليهم الموت والصعق وهو عز وجل قادر على ذلك.

وذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن المراد بهم هم الذين فى الجنة من الحور العين وغيرهم لأن الجنة لا موت فيها.

وقال ابن تيمية رحمه الله: أما الاستثناء فهو تناول لمن فى الجنة من الحور العين فإن الجنة ليس فيها موت، وتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل ما استثناه الله(٣).

---

(١) انظر التذكرة للقرطبى.

(٢) انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى صـ ١١.

(٣) وذهب إلى ذلك ابن تيمية رحمه الله، انظر الفتاوى الكبرى له.

وذهب البعض أن المستثنين هم حملة العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت وهذا ما جاء ذكره فى حديث الصور الذى ذكرناه ثم يموتون بأمر الله كما ذكر الحديث.

وقال القاضى عياض رحمه الله: يحتمل أن يكون المراد بهذه الصعقة فزع بعد النشر حين تنشق السموات والأرض، فتتفق الأحاديث والآيات والله أعلم.(١)

وقد ذهب أيضاً ابن القيم فى كتابه الروح أن الصعقة التى تحدث عنها الرسول ﷺ هى صعقة بعد البعث والقيام لرب العالمين وهى المرادة بقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وبالتالى فهى تختلف عن نفخة الصعق التى نتكلم عنها.

ونقل القرطبى فى التذكرة عن «الحليمى» إنه لا يعقل أن يكون المستثنون هم حملة العرش لأنهم ليسوا من مكان السموات والأرض لأن العرش فوق السموات كلها.

وإن جبريل وميكائيل وملك الموت من الصافين المسبحين حول العرش والعرش فوق السموات، وكذلك الولدان والحور العين فى الجنان، لأن الجنان جميعها فوق السموات ودون العرش وهى بانفرادها عالم مخلوق للبقاء وهى منعزلة عن الفناء.

ورد أيضاً قول الذين قالوا إن المستثنين هم الأموات لأن الاستثناء إما يكون لمن يمكن دخوله فى الجملة، فأما من لا يمكن دخوله فى الجملة فيها فلا معنى لاستثنائه منها والذين ماتوا قبل نفخ الصور ليسوا بفرض أن يصعقوا فلا وجه لاستثنائهم.(٢)

والأفضل فى نهاية المطاف كما قال بعض أهل العلم فى هذه المسألة هو

---

(١) التذكرة للقرطبى.

(٢) وقد رجح الحليمى أن المستثنين هم الشهداء والأنبياء وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما

التوقف فى تحديد وتعيين الذين استثناهم الله لعدم وجود نص قطعى فى تعيينهم أو خبر صحيح وإن كل الآراء محتملة.

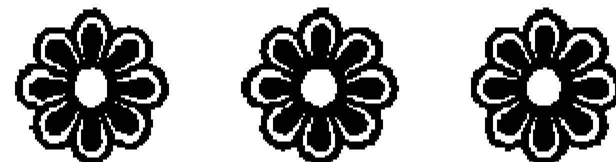
المهم أن فى النهاية وقبل النفخ فى الصور نفخة البعث تموت كل الخلائق ويبقى الله عز وجل كما دلت بذلك الأحاديث الصحيحة والآيات الواضحة المعنى والتفسير.

قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر:٦٨).

وقال أيضاً:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن:٢٦ـ ٢٨)[1].



(١) قال قتادة رحمه الله «أنبأنا بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فان» انظر تفسير ابن كثير للآية.

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام..
بعد فناء كل الخلق

رغم الاختلاف حول المستثنين من نفخة الصعق إلا أنه لا اختلاف على فناء الخلق كلهم حتى لا يبقى إلا الله الملك الواحد القهار، وقبل أن يأذن بالنفخ فى الصور مرة أخرى نفخة البعث والحساب.

عن أبى هريرة رضي الله عنه: قال قال رسول الله ﷺ: يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول:

«أنا الملك، أين ملوك الأرض؟».[1]

وفى رواية أخرى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: يطوى الله السماء يوم القيامة، ثم يأخذها بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون. أين المتكبرون؟

ثم يطوى الأرض بشماله؟ ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون.[2]

وهذه الأحاديث ومثلها فى المعنى تدل أن الله عز وجل يفنى الخلق كلهم ثم يقول: لمن الملك اليوم؟، فلا يجب أحد من خلقه؟ فيجيب هو تقدس اسمه على نفسه فيقول:

ـ لله الواحد القهار.

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه

وقد جاء فى الحديث الذى ذكرناه، قال أبو هريرة: ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق؛ فيصعق أهل السموات والأرض إلا ما شاء الله، فإذا هم خمدوا، وجاء ملك الموت إلى الجبار، فيقول: يا رب: مات أهل السموات والأرض إلا من شئتَ.

فيقول الله وهو أعلم بمن بقى؟

- فمن بقى؟

فيقول: يا رب: بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا.

فيقول: ليمت جبريل وميكائيل.

فينطق الله العرش فيقول: يا رب يموت جبريل وميكائيل؟.

فيقول: اسكت، فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى.

فيموتان، ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار جل جلاله فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله سبحانه وهو أعلم: من بقى؟

فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقى حملة عرشك وبقيتُ أنا.

فيقول: ليمت حملة العرش.

فيموتون، فيأمر الله ملك الموت فيقبض الصور من إسرافيل ثم يقول: ليمت إسرافيل. فيموت.

ثم يأتى ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك.

فيقول وهو أعلم: من بقى؟

فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا.

فيقول الله: أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت، فيموت.

فإذا لم يبق إلا الله، الواحد الأحد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٣، ٤).

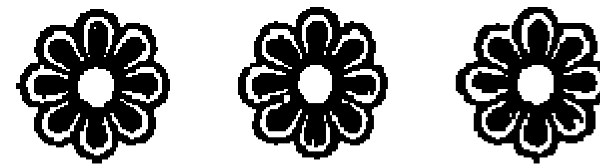
فكان كما كان طوى السماء كطى السجل للكتاب ثم قال: أنا الجبار، لمن الملك اليوم؟

فلم يجبه أحد فيقول جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:

لله الواحد القهار.

قال القرطبى فى التذكرة: وقوله سبحانه «لمن الملك اليوم؟ هو انقطاع زمن الدين ويكون البعث والنشر والحشر، وفى فناء الجنة والنار عند فناء جميع الخلق قولان:

أحدهما: يفنيهما ولا يبقى شىء سواه وهو معنى قوله ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ (الحديد: ٢)، وقيل: إنه مما لا يجوز عليهما الفناء وإنهما باقيان بإبقاء الله سبحانه، والله أعلم.



مشاهد الحياة على الأرض ساعة النفخ في الصور.. ومن تقوم عليهم الساعة

وهكذا تنتهى الحياة الدنيا بفناء الخلق كلهم ويبقى الملك الجبار القهار الله عز وجل حتى يأذن الله سبحانه وتعالى بالنفخ فى الصور مرة أخرى نفخة البعث والحساب.

وجاء ذكر ذلك فى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

وجاء فى الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم فى صحيحه عن عبد الله ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين ـ لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ـ فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه.

ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشمال فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته.

حتى إن أحدكم لو دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً؟ ولا ينكرون منكراً.

فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟

فيقولون: فما تأمرنا؟

فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دارٌّ رزقهم، حسن عيشهم.

ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً.

قال: فأول من يسمعه رجل يلوط حوض أبله فيصعق ويصعق الناس.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم «وقفوهم إنهم مسؤولون».

ثم يقال: أخرجوا بعث النار.

فيقال: من كم؟

فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين.

قال: فذلك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق(١).

والحديث يشير إلى أمور تشهدها الأرض فى نهاية عمارتها وحياة أهلها وهى ما تعرف بأشراط الساعة الكبرى، وأهمها خروج الدجال ثم نزول عيسى ابن مريم عليه السلام الذى يقتل الدجال(٢)، ثم حياة الناس فى عهد عيسى ابن مريم عليهما السلام وأهل الأرض فى سعادة وسلام قرابة السبع سنوات ثم تأتى النهاية بعد موت عيسى ابن مريم عليه السلام كما أوضحت أحاديث أخرى لا مجال لذكرها هنا(٣).

ثم يرسل الله عز وجل ريحاً تأخذ أرواح المؤمنين أو من كان فى قلبه ذرة من خير أو إيمان حتى لا يبقى على الأرض إلى شرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة، وهم الذين يعودون إلى عبادة الأوثان، فالساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ولا يُذكر على الأرض اسم الله.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه.

(٢) انظر كتابنا «عشرة ينتظرها العالم» الناشر دار الكتاب العربى.

(٣) انظر نهاية العالم وأشراط الساعة للمؤلف، الناشر دار الكتاب العربى ففيه المزيد عن تلك الأحداث الهامة آخر الزمان.

ثم يذكر الحديث النفخة الأخرى فى الصور وهى نفخة البعث والقيام لرب العالمين يوم يجعل الولدان شيباً.

والريح الطيبة التى تقبض أرواح المؤمنين هى من العلامات الصغرى التى تكون قرب الساعة وقد جاء فى رواية «... ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قِبَلِ الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته... الحديث»(١).

وفى رواية أخرى «ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفساً فى قلبها مثقال حبة من إيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس وعليهم تقوم الساعة».

وفى رواية ثالثة: «ثم يبعث الله ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً فى قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته»(٢).

فالريح المذكور تأتى من ناحية الشام واليمن معاً كى تخلص المؤمنين من عناء الدنيا وما فيها من شرور وتبقى شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة. قال ﷺ: لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله.. الله»(٣).

وقال أيضاً: «لا تقوم الساعة إلا على حثالة الناس»(٤).

وفى البخارى قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجَّ البيت»(٥) أى الكعبة المشرفة.

وقال أيضاً: «من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء»(٦).

وأيضاً: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ومن لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتهارجون كما تتهارج الحمير»(٧).

---

(١) الحديث رواه أيضاً أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم بالإضافة إلى مسلم فى صحيحه.

(٢) رواه الحاكم أيضاً ومسلم كذلك.

(٣) أخرجه مسلم وأحمد فى المسند.

(٤) أخرجه أحمد والطبرانى.

(٥) صحيح البخارى.

(٦) رواه البخارى وأحمد.

(٧) أخرجه مسلم وأحمد.

آخر الأمر على الأرض: نار تخرج من اليمن ووصف حشر الناس

وعلى شرار الخلق تقوم الساعة وينفخ فى الصور نفخة الصعق وعلامة ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم كما جاء فى الحديث الذى رواه حذيفة بن أُسَيّد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺ:

«... وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»(١).

وفى رواية لأبى داود «... وآخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر».

والعجيب أن مدينة عدن اليمنية قائمة على فوهة بركان عظيم يكاد ينفجر فى أى لحظة.

وفى رواية رواية الترمذى قال ﷺ:

«... ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس فتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا».

والبحر الذى عليه مدينة «عدن» أيضاً يسمى خليج عدن أو بحر حضرموت وهناك واد يقال له «برهوت» هو فى قعر عدن ويطلق عليه العامة: وادى النار!!

---

(١) رواه مسلم وغيره.

وصفه الحشر قبل النفخ فى الصور وصفه النبى ﷺ فقال: يحشر الناس على ثلاث طرائق - جمع طريقة - راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا(١).

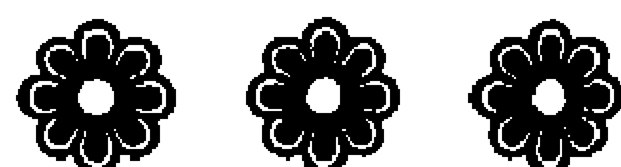
وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا»(٢).

وفى رواية أحمد: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم.

قالوا يا رسول الله: وكيف يمشون على وجوههم.

قال: إن الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»(٣).

وهكذا تكون المشاهد الأخيرة على الأرض قبل نهايتها والنفخ فى الصور والله أعلى وأعلم.



(١) القيلولة: هى نومة فى الظهيرة من الحر.

(٢) متفق عليه ورواه أيضاً النسائى.

(٣) أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن.

6

القيامة فى القرآن أسماء ودلالات

- ذكر القيامة وأسماء يوم القيامة
فى آيات القرآن الكريم.

ذكر يوم القيامة فى القرآن الكريم

قال القرطبى رحمه الله فى التذكرة عن يوم القيامة: وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه وهذا طريق كلام العرب، ألا ترى السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم وله نظائر، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها سماها الله تعالى فى كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة.

وجاء ذكر يوم القيامة فى القرآن الكريم فى سبعين آية، وجاء ذكره أيضاً بأسماء أخرى كاليوم الآخر ويوم البعث وغيرها من الأسماء الأخرى.

أولاً - ذكر يوم القيامة فى القرآن:

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

(البقرة: ٨٥).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ **(البقرة: ١١٣).**

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤).

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(آل عمران: ٧٧).

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦١).

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

(آل عمران: ١٩٤).

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٨٧).

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٠٩).

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ (النساء: ١٤١).

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ (النساء: ١٥٩).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

(المائدة: ١٤).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٦).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤).

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٦٧).

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (يونس: ٦٠).

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس: ٩٣).

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ (هود: ٩٨، ٩٩).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: ٢٥ ـ ٢٧ ـ ٩٢ ـ ١٢٤).

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾.

(الإسراء: ١٣ ـ ٥٨ ـ ٦٢ ـ ٩٧).

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥).

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: ٩٥).

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾.

(طه: ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٢٤).

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. (الحج: ٩ ـ ١٧ ـ ٦٩).

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٦).

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ (الفرقان: ٦٩).

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ﴾

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾

﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾. (القصص: ٤١ ـ ٤٢ ـ ٦١ ـ ٧١ ـ ٧٢).

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

(العنكبوت: ١٣ ـ ٢٥).

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (السجدة: ٢٥).

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر: ١٤).

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ .

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿ولَوْ أَنَّ للَّذين ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ومِثْلَهُ معه لافْتَدَوْا بِه من سُوءِ الْعَذَابِ يوْمَ الْقِيامَةِ وبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ ما لَمْ يكُونُوا يحْتَسِبُونَ﴾.

﴿ويوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿ومَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه والأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُه يوْمَ الْقِيامَةِ والسَّمَوات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾..

﴿إنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(فصلت: ٤٠).

﴿وتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ من طَرْفٍ خَفِيٍّ وقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وأَهْلِيهِمْ يوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (الشورى: ٤٥).

﴿وآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يوْمَ الْقِيامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيه يَخْتَلِفُونَ﴾ (الجاثية: ١٧ ـ ٢٦).

﴿ومَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إلَىٰ يوْمِ الْقِيامَةِ وهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (الأحقاف: ٥).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَات ومَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ولا خَمْسَةٍ إلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ولا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ ولا أَكْثَرَ إلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يوْمَ الْقِيامَةِ إنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: ٧).

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ ولا أَوْلادُكُمْ يوْمَ الْقِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الممتحنة: ٣).

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (القلم: ٢٩).

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (القيامة: ١).

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾. (القيامة: ٦).

ثانياً: ذكر يوم القيامة بأسماء أخرى فى القرآن الكريم[1]:

١ ـ **يوم البعث**: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٥٦).

٢ ـ **الساعة**: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥).

وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾

(طه: ١٥).

وأيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١).

٣ ـ **اليوم الآخر**: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ

(١) انظر التذكرة للقرطبى رحمه الله جـ ١.

الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

وأيضاً: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

٤ ـ **القارعة**: قال القرطبى رحمه الله: سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾

(القارعة: ١ ـ ٥).

وقال أيضاً: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ (الحاقة: ٤).

٥ ـ الصاخة: قال عكرمة: الصاخة النفخة الأولى، والطامة النفخة الثانية.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (عبس: ٣٣).

قال ابن كثير رحمه الله: قال البغوى: الصاخة يعنى صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أى تبالغ فى إسماعها حتى تكاد تصمها(١).

٦ ـ الطامة الكبرى: قال القرطبى: الطامة الغالبة، من قولك طمَّ الشىء إذا علا وغلب ولما كانت تغلب كل شىء لها هذا الاسم حقيقة دون كل شىء.

وقال الحسن: الطامة: النفخة الثانية، وقيل حين يساق أهل النار إلى النار(٢).

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ (النازعات: ٣٤).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير.

(٢) التذكرة للقرطبى.

٧ ـ **يوم الفصل**: لأنه يوم يفصل الله فيه بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون فى الدنيا، قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ **(الصافات: ٢١)**.

وقال أيضاً: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ **(المرسلات: ٣٨)**.

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ **(السجدة: ٢٥)**.

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ **(النبأ: ١٧)**.

٨ ـ **يوم الخروج**: إشارة إلى بدء ذلك اليوم بخروج الناس من قبورهم بعد النفخ فى الصور نفخة البعث والقيام.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ **(ق: ٤٢)**.

وقال أيضاً: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ **(المعارج: ٤٣)**.

وقال أيضاً: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ **(الروم: ٢٥)**.

٩ ـ **يوم الغاشية**: لأن القيامة من هولها تغشى الناس وتفزعهم وتحيط النار بالكافرين ويغشاهم العذاب.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ **(العنكبوت: ٥٥)**.

وقال أيضاً: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ **(الغاشية: ١ ـ ٣)**.

١٠ ـ **يوم الحسرة**: لأن فيه يتحسر الكافر والعاصى على عدم طاعته لله ورسله فى الدنيا.

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: ٥٦ ـ ٥٨).

وقال أيضاً: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩).

وقال أيضاً يصف حال الكفار وندمهم يوم القيامة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ (الأنعام: ٣١).

وقال أيضاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٧).

١١ ـ **يوم الخلود:** لأنه بعد الحساب يكون الجزاء والثواب أما خلود فى الجنة أو خلود فى النار، فسمى ذلك اليوم يوم الخلود.

قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (ق: ٣٤).

وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٩).

وقال أيضاً: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(آل عمران: ١٠٧).

١٢ ـ **يوم الجمع:** لأن فيه يُجمع الخلق كلهم للحساب أمام رب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧).

وقال أيضاً: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ (هود: ١٠٣).

١٣ ـ **يوم الوعيد:** لأنه اليوم الذى أوعد الله به عباده، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ

﴿فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ (ق: ٢٠).

ففيه يتحقق ما وعد الله به عباده من الجزاء والعقاب والثواب كما وعدهم فى كتبه وأخبر به أنبياءه ورسله.

١٤ ـ **يوم الحاقة**: لأن ذلك يوم يتحقق فيه الوعد والوعيد الذى أخبر الله به عباده.

قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (الحاقة: ١ ـ ٣).

١٥ ـ **يوم الواقعة**: فهى تحقق كونها ووجودها كما ذكر ابن كثير فى تفسيره، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (الواقعة: ١).

١٦ ـ **يوم الحساب**: فهو يوم يحاسب الله عز وجل فيه عباده وجميع خلقه فيقضى بينهم بالحق وهو خير العادلين الحاكمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦).

وقال أيضاً: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ٢٧).

١٧ ـ **يوم التلاق**: ففيه يلتقى الخلق من أول آدم إلى آخر مولود على الأرض قبل النفخ فى الصور.

قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (غافر: ١٥).

١٨ ـ **يوم التغابن**: لأن فيه يغبن ويحسد أهل النار أهل الجنة ويرث المؤمن نصيب الكافر فيها قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (التغابن: ٩).

١٩ ـ **يوم التناد**: وذلك لكثرة ما يحصل فيه من نداء، لأن كل إنسان

ينادَى باسمه للوقوف أمام الله للحساب والجزاء، وإن أصحاب الجنة ينادون على أهل النار وأصحاب النار ينادون على أهل الجنة كما ذكر ذلك الحق جل وعلا فى القرآن الكريم(١).

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (الأعراف: ٤٤ ـ ٥١).

---

(١) ذكر القرطبى فى التذكرة أن يوم التناد هو أيضاً يوم الدعاء..

وان النداء على ثمانية وجوه فيما ذكره ابن العربى رحمه الله: الأول: نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع.

والثانى نداء أهل النار أهل الجنة بالاستغاثة كما أخبر الله عنهم.

والثالث: يُدعى كل إناس بإمامهم وهو قوله: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد». أو بكتابهم أو نبيهم.

الرابع: نداء الملك ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.، وإن فلان بن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً.

والخامس: النداء عند ذبح الموت.. يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت.

السادس: نداء أهل النار يا حسرتنا وياويلنا.

السابع: قول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم إلا لعنة الله على الظالمين.

الثامن: نداء الله تعالى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك.

وقال أيضاً: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر: ٣٢).

٢٠ ـ **يوم الآزفة**: لانها قريبة جداً وإن ظنها الكثيرون بعيدة فطال بهم الآمد.

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر ١٨).

وقال أيضاً: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾

(النجم: ٥٧ ـ ٥٨).

٢١ ـ **يوم الدين**: فهو يوم يجزى الله فيه العباد ويحاسبهم على أعمالهم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (الانفطار: ١٤ ـ ١٩).

٢٢ ـ **يوم الشهادة أو يوم الأشهاد**:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ (النور: ٢٤).

وقال أيضاً: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾

(فصلت: ٢١ ـ ٢٢).

وقال القرطبى رحمه الله: الشهادة يوم القيامة أربعة أنواع: أولها شهادة محمد وأمته تحقيقاً لشهادة الرسل على قومهم.

والثانى: شهادة الأرض والأيام والليالى بما عمل فيها وعليها.

والثالث: شهادة الجوارح من الإنس والأيدى والأرجل وغيرها.

الرابع: الختم على الفم ونطق أركان الإنسان.

٢٣ ـ **يوم الجدال**: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ **(النحل: ١١١)**.

فهو يوم الخصام وأن تحاج كل نفس عن نفسها حين يقول كل إنسان نفسى نفسى من شدة أهوال ذلك اليوم؟ إلا النبى ﷺ الذى يسأل ربه عن أمته كما سيأتى ذكره فى حديث الشفاعة الكبرى وغيره.

٢٤ ـ **يوم التقلب**: قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ **(النور: ٣٧)**.

وقوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ **(النازعات: ٨)**.

فهو يوم التحول لقلوب الكفار وأبصارهم فلا ترجع إلى مكانها ولا تخرج منها من أهوال ذلك اليوم.

وأما المؤمن فيثبته الله عز وجل بالقول الثابت هذا اليوم كما ثبت فى الدنيا.

٢٥ ـ **يوم الثبات**: أى للمؤمن الذى نال هذا التثبيت فى الدنيا فإنه يناله فى الآخرة كما وعده الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ **(إبراهيم: ٢٧)**.

٢٦ ـ **يوم شخوص الأبصار**:

قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ **(إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٣)**.

فمن هول هذا اليوم يشخص البصر فلا تغمض العين وتظل شاخصة تنظر وتنتظر ما يحدث لها.

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يغتمضون مهطعين أى مديمى النظر.

قال مجاهد والضحاك: مقنعى رؤوسهم، أى رافعى رؤوسهم وإقناع الرأس رفعه.

وقال الحسن البصرى: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد.

وهذا الشخوص للبصر كما قال القرطبى لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ (القمر: ٧).

فإنهم يخرجون حال المضى إلى الموقف خاشعة أبصارهم وفى هذه الحال وصفهم الله تعالى بخشوع الأبصار وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لا قلوب لهم ويرفعون رؤوسهم فيطيلون النظر الطويل ولا يرتد إليهم طرفهم كأنهم نسوا الغمض أو جهلوه فهو عسير عليهم(١).

قال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (المعارج: ٤٤).

٢٧ ـ يوم لا بيع فيه ولا خلال:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

وقال أيضاً: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾ (إبراهيم: ٣١).

والخلة والخلال الصداقة والمودة، فلا ينفع فى هذا اليوم صداقة ولا مودَّة بين الناس، فالكل يقول نفسى نفسى إلا رسول ﷺ الذى يشفع الشفاعة الكبرى ويشفع لأمته شفاعة خاصة.

---

(١) التذكرة للقرطبى، وقال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.

٢٨ ـ **يوم الأذان:** والمؤذن من عند الله يؤذن يوم القيامة بين الكافرين والظالمين باللعنة عليهم.

ذكر القرطبى أن طاووس ـ أحد علماء عصره ـ دخل على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك فقال له:

اتق الله واحذر يوم الأذان.

فقال هشام: وما يوم الأذان؟

قال: قوله تعالى: **﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤٤).**

فصعق هشام ـ أى غشى عليه ـ فقال طاووس:

ـ هذا ذل الصفة، فكيف ذل المعاينة!!(١).

٢٩ ـ **يوم الفرار:** إنه يوم يفر المرء من أخيه ويفر كل واحد من الآخر مهما كانت درجة القربى أو الصداقة.

قال تعالى: **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾**

(عبس: ٣٤ ـ ٣٦).

وفرار المرء يومئذ خشية أن يطالب بالمساعدة أو حتى لا يراه غيره مما هو فيه من الشدة.

قال الحسن البصرى: أول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم عليه السلام وأول من يفر من ابنه نوح عليه السلام وأول من يفر من امرأته لوط عليه السلام. وهذا فرار التبرى.

٣٠ـ يوم عبوس قمطرير:

والقمطرير الشديد وقيل الطويل، والعبوس الحزين.

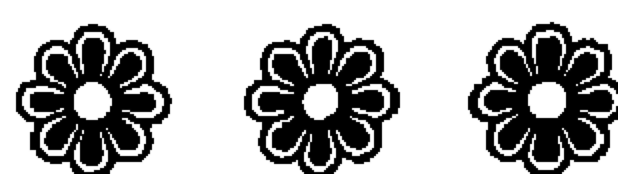
(١) التذكرة ـ مصدر سابق.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان: ١٠).

٣١ ـ يوم تبلى السرائر:

أى تخرج المخبآت وذلك بالاختبار ووزن الأعمال فى الصحف ويكشف الساق عند السجود.

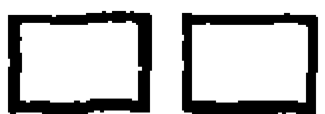
قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ (الطارق: ٩ ـ ١٠).



7

ثم نُفخ فيه أخرى

- إسرافيل ينفخ فى الصور نفخة البعث والقيام لرب العالمين بعد أن يبعث الله فيه الحياة ثم فى باقى المخلوقات؟!
- ما هو عَجَبُ الذَّنب؟!
- وأول من ننشق عنه الأرض يوم القيامة.



إسرافيل ينفخ فى الصور مرة أخرى نفخة البعث بعد أن يبعث الله فيه الحياة ثم يبعث الحياة فى باقى البشر

لا شك أن إسرافيل عليه السلام هو (الموكَّل) بالنفخ فى الصور وقد أماته الله عز وجل كما ذكرنا بعد نفخة الصعق، فيكون أول من ترد إليه الحياة كى ينفخ فى الصور مرة أخرى.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٥١ - ٥٣).

وقال أيضاً: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً».

قال: وأول من يسمعه رجل يلوط (يصلح) حوض إبله، فيصعق ويصعق الناس.

ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطراً كأنه الطَّلُّ أو الظَّلُّ، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»(١).

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

وقد ذكر الله عز وجل ذلك الإحياء والإنبات فى قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر: ٩).

هكذا أخبرنا الحق جل وعلا.. كذلك النشور.. أى القيام من الموت يوم القيامة.

والشاهد من الآيات والحديث النبوى أن الإنبات يكون لجزء من الإنسان مثل البذرة التى توضع فى الأرض فإذا نزل الماء عليها تحركت فيها الحياة وصارت بأمر الله نباتاً فيها حياة.

وقد دلت الأحاديث النبوية أن الإنسان بعد موته يبلى جسده ويبقى جزء صغير جداً مثل البذرة وهو عظم واحد يسمى عجب الذنب.

فقد جاء عن رسولنا ﷺ قوله:

«ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس فى الإنسان شىء إلا بلى، إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة»(١).

وعجب الذنب لا تأكله الأرض أبداً.

قال ﷺ: «كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب»(٢).

وهناك استثناء من ذلك وهم الأنبياء والشهداء فلا تأكل الأرض أجسادهم تكريماً من الله لهم.

قال ﷺ: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مالك فى الموطأ وأبو داود والنسائى، وعجب الذنب يقال بالميم والباء وهو جزء لطيف فى أصل الصلب وقيل هو رأس العصعص وهو مثل حبة الخردل.

(٣) رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة.

وقال تعالى عن الشهداء ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

وقال أهل العلم أنه لا يرزق إلا الحى، وجاء فى صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

فقال: إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ.

فقال: أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطَّلع إليهم ربهم اطِّلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟.

قالوا: أى شىء نشتهى ونحن نسرح فى الجنة حيث نشاء؟

ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى.

فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا.

وذكر القرطبى فى التذكرة عن مالك عن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين(١) كانا قد حفر السيل قبرهما، وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا فى قبر واحد وهما ممن استشهدا يوم أحد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدوهما لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن، وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد - أى غزوة أحد - وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة.

وقال ﷺ: «نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»(٢).

---

(١) استشهدا فى غزوة أحد.

(٢) رواه أحمد فى المسند.

أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مُشَفَّع يوم القيامة

إنه رسول الله ﷺ أول من تنشق عنه الأرض حين ينفخ فى الصور نفخة البعث وهذا ما أخبر عنه صلوات ربى وسلامه عليه حين قال: «ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يبعث فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدرى: «أحوسب بصعقة الطور أم بعث قبلى»(١).

وقال أيضاً: «لا تخيرونى على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى الله عز وجل»(٢).

وقال أيضاً: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مُشَفَّع»(٣).

وقال أيضاً: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم ومن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر... الحديث»(٤).

---

(١) ، (٢) متفق عليه.

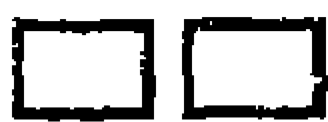
(٣) رواه مسلم فى صحيحه.

(٤) رواه الترمذى.

8

الحشر وأرض المحشر

- الحشر وأنواعه الأربعة.
- بعث الناس على ما ماتوا عليه يوم القيامة.
- صفة أرض المحشر.
- حشر النـاس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً (غير مختونين)، وأول من يُكسَى يوم القيامة.



الحشر وأنواعه الأربعة..
اثنان فى الدنيا
واثنان فى الآخرة

الحشر يعنى الجمع وهو كما قال القرطبى فى التذكرة على أربعة أوجه: حشران فى الدنيا وحشران فى الآخرة.

أما الذى فى الدنيا فقوله تعالى فى سورة الحشر: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (الحشر: ٢).

وكان هذا الحشر ليهود بنى النضير من المدينة إلى الشام، وذلك بعد نقضهم العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وأعطاهم العهد والذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد[1]. فأحل الله عليهم بأسه الذى لا مردَّ له وأنزل عليهم قضاءه الذى لا يصد فأجلاهم النبى ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة.

فكان طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالى الشام وهى أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبت إلى حصون خيبر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من شكَّ أن الحشر فى الشام فليقرأ هذه الآية وذلك أن النبى ﷺ قال لهم: اخرجوا.

(١) اقرأ كتابنا بلاد الحجاز معقل الإيمان آخر الزمان، لتقرأ فيه ما فعله اليهود بأرض الجزيرة العربية وغيرها من المعلومات الهامة، وقد حاول يهود بنى النضير قتل النبى ﷺ بإلقاء حجر عليه وهو جالس بجوار أحد حصونهم بعد حادثة بئر معونة.

قالوا إلى أين؟

قال: إلى أرض المحشر.

قال قتادة: هذا أول الحشر.

وأما الحشر الثانى فى الدنيا: جاء ذكره فى الحديث النبوى الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا»(١).

قال قتادة رحمه الله: الحشر الثانى نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل منهم من تخلف.

وقال القاضي عياض: هذا الحشر فى الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها.

وقال آخرون: إن ذلك الحشر نار تخرج من قعر عدن تزجر الناس أو تطرد الناس إلى محشرهم.

وقال القرطبى رحمه الله فى التذكرة أن ما ذكره القاضى عياض من أن ذلك الحشر فى الدنيا أظهر والله أعلم لما فى الحديث نفسه من ذكر المساء والمبيت والصباح والقائلة وذلك ليس فى الآخرة.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، صنفاً مشاة وصنفاً ركبانا، وصنفاً على وجوههم.

قيل يا رسول الله، كيف يمشون على وجوههم.

قال: إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم، أما أنهم يتقون بوجوههم كلَّ حدب وشوك»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذى وذكره القرطبى فى التذكرة وقال حديث حسن.. والحديث أيضاً فى البخارى ومسلم بلفظ آخر.

وقيل إن قوله ﷺ يتقون بوجوههم كل حدب وشوك يدل على أنه أى هذا الحشر فى الدنيا وليس فى الآخرة»(١).

وذكر عمر بن شَبَّة فى كتاب المدينة على ساكنها الصلاة والسلام عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «آخر من يُحشر رجلان، رجل من جهينة، وآخر من مُزينة فيقولان أين الناس، فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس»(٢).

وهما آخر ما يُحشر من الناس فى الدنيا.

والحشر الثالث: هو حشر الناس بعد النفخة الثانية نفخة الصعق والقيام للحساب أمام رب العالمين.

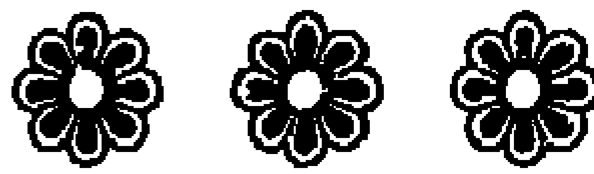
قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ **(الكهف: ٤٧)**.

والحشر الرابع: هو الحشر إلى الجنة أو النار بعد الحساب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ **(مريم: ٨٥)**.

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ **(طه: ١٠٢)**.

وقال أيضاً: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ **(الإسراء: ٩٧)**.

وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ **(الفرقان: ٣٤)**.



(١) التذكرة.

(٢) المصدر السابق.

«يوم ينادى المنادِى من مكان قريب» وبَعْثُ الناس على ما ماتوا عليه يوم القيامة

إنه يوم الحشر الأول حين يأمر الله عز وجل إسرافيل فى النفخ فى الصور وقد وصف الحق سبحانه وتعالى تلك النفخة والصيحة وما بعدها فى آيات من أواخر سورة «ق»:

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤١ ـ ٤٥).

والمخاطَب هو النبى ﷺ، وقد قال قتادة رحمه الله وكعب الأحبار: يأمر الله تعالى ملكاً ينادى على صخرة بيت المقدس:

أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

وذلك يوم الصيحة أى يوم النفخ فى الصور.

وقال قتادة: المنادى هو صاحب الصور ينادى من الصخرة من بيت القدس.

وقال كعب الأحبار: وهى أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، وذكر القشيرى أنها أقرب بنحو اثنى عشر ميلاً(١). والله أعلم

(١) انظر القرطبى فى التذكرة وابن كثير فى التفسير.

وتلك النفخة أو الصيحة يسمعها الأحياء والأموات أيضاً، فهى نفخة تطول فتكون أولها للأحياء وما بعدها لإزعاج من فى القبور(١).

قال محمد بن كعب القرظى: يحشر الناس يوم القيامة فى ظلمة وتطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادى مناد فيتبع الناس الصوت يومئذ فذلك قول الله عز وجل:

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ (طه: ١٠٨).

وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (الانفطار: ١ ـ ٤).

وأما عن هيئة الناس حين يبعثون يوم القيامة فهى على الهيئة التى ماتوا عليها، فمن مات وهو فى عبادة بعثه الله كما كان، فمن مات وهو يصلى ساجداً مثلاً بعث هكذا ومن مات وهو يؤدى الحج والعمرة بعث ملبياً، وهكذا.

قال أبو حامد الغزالى فى كتاب كشف علوم الآخرة ومن الناس من يحشر بفتنته الدنيوية، فقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم فعند قيام أحدهم من قبره يأخذه بيمينه فيطرحه من يده ويقول سحقاً لك صددتنى عن ذكر الله فيعود إليه، ويقول أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو غير الحاكمين.

وكذلك يبعث السكران سكران والزامر زامراً وكل واحد على الحال الذى صده عن سبيل الله. فالإنسان يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه قال الغزالى أيضاً: ومثله الحديث الذى روى فى الصحيح أن شارب الخمر يحشر والكوز معلق فى عنقه والقدح فى يديه وهو أنتن من كل جيفة على الأرض يلعنه كل من يمر به من الخلق.

قال ﷺ: «إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على نياتهم».(٢)

(١) التذكرة للقرطبى.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال سمعت النبى ﷺ يقول: «يبعث كل عبدٍ على ما مات عليه»(١).

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

«والذى نفسى بيده لا يَكْلَمُ أحد فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يَثْعُب دماً، اللون لون الدم، والعُرف عرف المسك»(٢).

روى أيضاً عن عبد الله بن عمرو أنه قال: يا رسول الله، أخبرنى عن الجهاد والغزو.

فقال: يا عبد الله إن قُتلت صابراً محتسباً بعثت صابراً محتسباً.

وإن قتلت مرائياً مكاثراً بعثت مرائياً مكاثراً على أى حال قاتلت أو قُتِلْتَ بعثك الله بتلك الحال(٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات سكران فإنه يعاين ملك الموت سكران، ويعاين منكراً ونكيراً سكران، ويبعث يوم القيامة سكران إلى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران، فيه عين ماؤها دم، لا يكون له طعام ولا شراب إلا منه(٤).

وعن ابن عباس ﷺ أن رجلاً كان مع رسول الله ﷺ محرماً فوقصته ناقته فمات، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه فى ثوبه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»(٥).

والحديث يشتمل على معانٍ وأحكام فقهية فى فقه الجنائز أهمها: أن الميت إذا كان محرماً بالحج أو العمرة يراعى فى تجهيزه وتكفينه أنه محرم أى يظل على إحرامه حتى يلقى الله يوم القيامة فلا يُغطَّى رأسه ولا يمسه الطيب.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه. (٢) متفق عليه والموطأ. (٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه أبو هدبة إبراهيم بن هدبة وذكره القرطبى فى التذكرة.

(٥) متفق عليه.

وإنه يبعث يوم القيامة وهو يقول: لبيك اللهم لبيك..

ومن أمثلة الذين يبعثهم الله على أعمالهم يوم القيامة المؤذنون.

روى عباد بن كثير عن الزبير عن جابر قال:

«إن المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى(١).

أى يقول لبيك اللهم لبيك.

وهناك مشهد آخر للنساء اللاتى يقمن بالنياحة على الموتى يخبرنا عنهن رسولنا ﷺ وكيف يكون بعث تلك النائحات، رهنَّ عادة يعملن بالأجر. وكن منتشرات فى الزمن الماضى إنه منظر بشع ترتجف منه القلوب وتنخلع، وهو ترهيب لهن كى يتركن تلك الفعلة النكراء وهى النياحة على الميت من كلام وصياح وشق للملابس والصراخ وغير ذلك.

قال ﷺ: «تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة الله، ودرع من نار يدها على رأسها تقول: يا ويلاه»(٢).

وفى رواية أخرى قال ﷺ: «النياحة من أمر الجاهلية وإن النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثياباً من نار ودرعاً من لهب النار»(٣).

وفى لفظ مسلم: «تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب».

وذكر القرطبى فى التذكرة عن الثعلبى فى تفسيره عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين، صفّاً عن اليمين، وصفّاً عن الشمال، ينبحن كما تنبح الكلاب، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يؤمر بهن إلى النار»(٤).

---

(١) ذكر الحليمى فى كتاب المنهاج، ونقله عنه القرطبى فى التذكرة.

(٢) رواه النسائى، وأخرجه مسلم بمعناه.

(٣) رواه مسلم وابن ماجه واللفظ له.

(٤) انظر التذكرة للقرطبى.

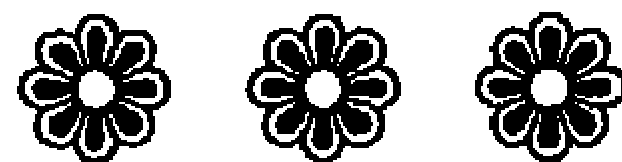
وعند ابن ماجه عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«النياحة على الميت من أمر الجاهلية وإن النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تُبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران، ثم يُعّلَى عليها بدرع من لهب النار».

وهنا ذكر الرسول ﷺ النائحة بأجر أو بغير أجر والنياحة كفعل تقوم به النسوة من أهل الميت تطوعاً أو مجاملة أو حزناً على الميت، فالنياحة كلها تأخذ حكماً واحداً.

ولكن الحديث جعل لها من هذا الأمر والشأن مخرجاً إذا تابت النائحة مما فعلت من النياحة قبل موتها فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها وتهدمه وتبدله حسنات. إذا أحسن حالهن.

وبالجملة فالميت يبعث يوم القيامة على ما مات عليه فى الدنيا وهذا ما أوضحه النبى ﷺ فى الأحاديث التى ذكرناها، نسأل اللّه حسن الخاتمة وهى قول لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، لأن من قالها قبل موته وختم بها أعماله كما جاء فى الحديث الصحيح دخل الجنة والحمد للّه.



أرض المحشر يوم القيامة..
يوم تبدَّل الأرض غير الأرض والسموات

ترى ما هى أرض المحشر، تلك الأرض التى يجتمع عليها الخلائق من إنس وجن وحيوانات مختلفة للحساب أمام رب العالمين؟!

إنه سؤال يطرح نفسه، ونجد الإجابة عليه من رب العزة سبحانه وتعالى ومن رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٨)

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره الآية: أى وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض، وهى هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة كما جاء فى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها مَعْلَم لأحد».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(١)، قالت: قلت: أين الناس يومئذ يارسول الله؟

قال: على الصراط(٢).

---

(١) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٢) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى: حسن صحيح.

وفى رواية أحمد فى المسند قال ﷺ: «ذاك أن الناس على جسرهم».

وروى احمد أيضا بسنده عن عائشة ﵂ أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟

قال: هم على متن جهنم.

وإذا تأملنا الآية اللاحقة لقوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(١)، نجدها هى آية النفخ فى الصور والصعق ثم مشهد من مشاهد الآخرة والحساب أمام رب العالمين وبداية الحساب بالنبيين ثم الشهداء ثم باقى الناس.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

(الزمر الآيات: ٦٧ ـ ٧٠).

عن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يامحمد إنا نجد أن الله عز وجل يحمل السموات على أصبع والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك.

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٢).

---

(١) سورة الزمر: ٦٧

(٢) الزمر الآية: ٦٧ والحديث رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى عن طريق الأعمش.

وعن ابى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض»(١).

ونعود إلى أرض المحشر يوم القيامة وما جاء عنها من أحاديث نبوية.

عن أبى أسماء الرحبى، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدثه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد.

فدفعته دفعة كاد يصرع منها.

قال: لم تدفعنى؟

فقلت: الا تقول يارسول الله.

فقال اليهودى: إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله.

فقال رسول الله ﷺ: إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى.

فقال اليهودى: جئت أسألك.

فقال رسول الله ﷺ: أينفعك شيئاً إن حدثتك.

قال: أسمع بأذنى.

فنكث رسول الله ﷺ بعود معه.

فقال: سَلْ.

فقال اليهودى: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟

فقال رسول الله ﷺ: «هم فى الظلمة دون الجسر».

قال: فمن أول الناس إجازة(٢).

فقال: فقراء المهاجرين.

(١) رواه البخارى، وعن مسلم بوجه آخر.

(٢) الإجازة أى المرور.

فقال اليهودى: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟

قال: زيارة كبد النون - أى الحوت.

قال: فما غذاؤهم فى إثرها؟

قال: ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها.

قال: فما شرابهم عليه؟

قال: من عين فيهما تسمى سلسبيلا.

قال: أى اليهودى: صدقت.

قال - اى اليهودى -: وجئت أسألك عن شىء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان.

قال ﷺ: أينفعك إن حدثتك؟

قال: أسمع بأذنى.

قال: جئت أسألك عن الولد.

قال ﷺ: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله تعالى، وإذا علا منى المرأة منى الرجل أَنَّثا بإذن الله.

قال اليهودى: صدقت إنك لنبى.

ثم انصرف، فقال رسول الله ﷺ:

- لقد سألني هذا عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشىء منه حتى أتانى الله به(١).

وعن وصف تلك الأرض التى هى أرض المحشر.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

قال: عمرو بن ميمون عن عبدالله بن مسعود عن النبى ﷺ قال فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ قال: «أرض بيضاء لم يسفك عليها دم، ولم يعمل عليها خطيئة»(١).

وعن عمرو بن ميمون قال:

«أرض كالفضة البيضاء نقية لم تسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى حفاة عراة كما خُلقوا.

قال: أُراه قال قياماً حتى يلجمهم العرق(٢).

قالوا: الله ورسوله أعلم.

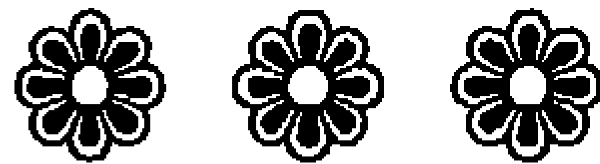
قال: فإنى أرسلت اليهم أسألهم عن قول الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ انها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة.

فلما جاءوا سألهم، فقالوا: تكون بيضاء مثل النقى (الخبز الأبيض الخالص).

وعن مجاهد بن جبر إنها تُبدل يوم القيامة بأرض من فضة.

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: تغير الأرض فضة والسموات ذهباً(١).

وعن أُبَىٍّ بن كعب قال: تصير السموات جناناً؟



(١) رواه البراز، انظر تفسير ابن كثير.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) انظر تفسير ابن كثير للآية.

حشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً (غير مختونين) ثم كسوتهم وأول من يُكسَى يومها

عند النفخ فى الصور نفخة البعث والحساب يقوم الناس من قبورهم وهم عراة حفاة غرلا أى غير مختونين، وهذا ما أخبرنا به المعصوم صلوات ربى وسلامه عليه.

عن ابن عباس ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال أيها الناس: إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين، ألاَ وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه يؤتَى برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصحابى فيقول: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١).

قال: فيقال إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم(٢).

وفى رواية الترمذى: «أشار النبى ﷺ بيده إلى الشام فقال ههنا تحشرون ركباناً ومشاة وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة أنتم خيرها على الله وأكرمهم على الله.. الحديث(٣).

---

(١) سورة المائدة: ١١٧.

(٢) متفق عليه ورواه أيضاً الترمذى عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبى ﷺ.

(٣) وذكره ابن أبى شبية وزاد أول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه والفدام: هو مصفاة الكوز والأبريق.

والشاهد من الحديث السابق بروايتيه أن الناس تحشر يوم القيامة من القبور حفاة عراة كما خلقهم الله وخرجوا من أرحام أمهاتهم غير مختونين، وقد منعوا الكلام حتى تتكلم افخاذهم فكان تشبيههم بالفدام الذى يجعل على الأبريق(١).

وأول من يكسى من الناس يومها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتلك فضيلة عظيمة له كما أن النبى ﷺ أول من تنشق عنه الأرض يومها أيضا، وتلك الخاصية لإبراهيم عليه السلام لأنه أُلقى فى النار عرياناً بواسطة قومه أيام النمرود(٢)، فأنجاه الله من النار، وقيل غير ذلك(٣).

وروى ابن المبارك رحمه الله فى رقائقه بسنده عن على رضي الله عنه أنه قال: أول من يكسى خليل الله إبراهيم قبطيتين ثم يُكسى محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش(٤).

وأيضاً عن البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إنكم تحشرون حفاة عراة، وأول من يُكْسَى من الجنة إبراهيم عليه السلام يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسى فيطرح عن يمين العرش ويؤتى بى فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر ثم أوتى بكرسى فيطرح على ساق العرش»

وقد لفت انتباه السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك الأمر وهو أن يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة فكان سؤالها رسول الله ﷺ عن ذلك.

روى مسلم فى صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) انظر التذكرة للقرطبى.

(٢) انظر قصص الأنبياء ـ لابن كثير.

(٣) انظر التذكرة، فقد قيل فى ذلك أن إبراهيم كان أخوف الناس لله فتعجل له كسوته أماناً ليطمئن قلبه وأيضاً أن إبراهيم عليه السلام كان يلبس السراويل عند الصلاة مبالغة في التستر وحفظاً لفرجه أن يمس مصلاه والله أعلم.

(٤) ذكره البيهقى أيضاً.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً؛ قلت: يارسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض!!

قال: ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض.

هكذا يصير حال الناس يوم القيامة، فتخيل أيها المسلم الكريم ذلك الأمر، إنه حقا أمر عظيم يستحق التأمل ومراجعة النفس والتوبة.

وفى رواية الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: تحشرون حفاة عراة غرلاً.

فقالت امرأة: أيبصر بعضنا أو يرى بعضنا عورة بعض.

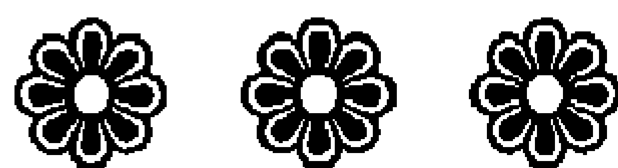
قال: يا فلانة لكل امرئ منهم شأن يغنيه(١).

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ **(عبس الآية: ٣٧)**.

ذكر البغوى فى تفسيره عن عطاء بن يسار عن سَوْدَة زوج النبى ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق، وبلغ شحوم الآذان».

فقلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟

فقال: قد شُغل الناس، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(٢).



---

(١) قال الترمذى حديث حسن صحيح.

(٢) سورة عبس الآية: ٣٧، انظر تفسير ابن كثير لسورة عبس وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه جداً.

9

القيامة رأى العين فى القرآن الكريم

- إذا الشمس كورت.

- إذا السماء انفطرت.

- إذا السماء انشقت.

□□

أهوال يوم القيامة ورؤيتها رأى العين في سور ثلاث من القرآن الكريم

أرشدنا الرسول الكريم صلوات ربى وسلامه عليه إلى قراءة سور بعينها للتعرف والنظر إلى يوم القيامة وهى سور التكوير والانفطار والانشقاق.

عن أبى عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ:

«إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت»(١).

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير: ١ ـ ١٤).

مظاهر كونية تتغير إيذاناً ببدء يوم القيامة وأهوالها، فالشمس التى تشرق كل يوم وتبعث الدفء والنور على الأرض والعباد قد كورت، يقول ابن عباس ﷺ: إذا الشمس كورت يعنى أظلمت.

ويقول العوفى عنه أيضاً: ذهبت.

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن. وأخرجه أيضاً أحمد فى المسند.

وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت.

وقال ابن عباس أيضاً: تكويرها إدخالها فى العرش وذهاب ضوئها.

قيل أيضاً إن تكويرها مأخوذ من تكوير الشىء مثل تكوير القماش أو العمامة مثلاً.

وأصل التكوير الجمع ثم المحو ثم الرمى بها.

قال قتادة: ذهب ضوؤها.

وقال سعيد بن جبير: كورت غورت.

وقال الربيع بن خيثم: كورت يعنى رمى بها.

قال ابن عباس: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ويبعث الله ريحاً دبوراً فتتصرمها ناراً.

عن ابن يزيد بن أبى مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال فى قول الله: «إذا الشمس كورت» قال: «كورت فى جهنم»(١).

ثم يأتى وصف النجوم وانكدارها أى انتثرت، قال ابن عباس: انكدرت تغيرت وأصل الانكدار الانصباب فتسقط فى البحار فتصير معها نيراناً إذا ذهبت المياه.

قال الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أُبى بن كعب قال: ست أيام قبل يوم القيامة، بينا الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم فى بعض.

ثم تتوالى مظاهر ذلك اليوم.

---

(١) رواه ابن أبى حاتم وذكره ابن كثير فى التفسير.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير:٥).

أي اختلطت، والعشار عطلت أى أهملها أهلها لانشغالهم بأهوال ذلك اليوم، وقيل إن المولى عزَّ وجل خصّ العشار بالذكر لأنها أعز ما يكون على العرب، إنهم يوم يقومون من قبورهم وشاهد بعضهم بعضاً ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التى هى أنفس أموالهم فى الدنيا لم يعبئوا بها.

قال عكرمة ومجاهد: عشار الإبل، عطلت وتركت وسيبت.

وقيل إن ذلك قبل النفخ فى الصور نفخة الفزع ونفخة الصعق. والله أعلم.

ومن مظاهر ذلك اليوم:

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير:٥). أى جمعت ليوم الحساب، قال ابن عباس: يحشر كل شىء حتى الذباب.

وقال قتادة: إن هذه الخلائق موافية فيقضى الله فيها ما شاء.

وقال عكرمة: حشرها موتها.

وعن ابن عباس أيضاً: حشر البهائم موتها وحشر كل شىء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة.

وأيضاً ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ وتلك من أهوال ذلك اليوم، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير ناراً تأجج.

عن سعيد بن المسيب قال: قال على رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟

قال فى البحر.

فقال: ما أراه إلا صادقاً والبحر المسجور ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.[1]

وعن معاوية بن سعيد قال إن هذا البحر بركة - يعنى بحر الروم - وسط

(١) رواه ابن جرير وذكره ابن كثير فى التفسير.

الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فإذا كان يوم القيامة أسجر هذا[1].

وفى سنن أبى داود قوله ﷺ: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً».

وقال الضحاك أيضاً: سجرت فجرت.

وقال السدى: فتحت وصيرت.

ومن نتائج هذا اليوم قوله تعالى ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير: ٧) فقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس: ما تقولون فى تفسير هذه الآية ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فسكتوا.

قال: ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ (الصافات:٢٢).

قال ابن عباس: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة.

قال عكرمة والشعبى والحسن البصرى وغيرهم: أى زوجت بالأبدان.

وقيل زُوج المؤمنون بالحور العين وزوج الكافرون بالشياطين[2].

وأما قوله: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨، ٩).

يومها تنطق الموءودة تلك البنت الضعيفة التى دفنها أبوها فى رمال الصحراء لمجرد أنها أنثى، وهذا السؤال من الموءودة لقاتلها على وجه التوبيخ.

قال الحسن البصرى: أراد الله أن يوبخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب وبعضهم يقرأ ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ تعلق الجارية بأبيها فتقول بأى ذنب قتلتنى؟

وقيل: معنى سئلت يسأل عنها كما قال أن العهد كان مسؤولاً[3].

(١) أثر غريب ذكره ابن كثير فى التفسير. (٢) انظر التذكرة للقرطبى. (٣) المصدر السابق.

ومن مظاهر ذلك اليوم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير: ١٠)، ونشر الصحف للحساب والصحف هى تلك الكتب التى كتب فيها أعمال العباد فى الدنيا.

قال الضحاك: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أُعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله.

وقال قتادة: يا ابن آدم تملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى فى صحيفته.

وأهوال ذلك اليوم كثيرة سيأتى ذكرها بإذن الله تعالى فى حينه.

ومن مشاهد ذلك اليوم فى سورة الانفطار قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ١ - ٥).

وانفطار السماء انشقاقها فقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١) وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ (الفرقان: ٢٥).

وانتثار الكواكب أى تساقطها، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ (التكوير: ٢) أى تناثرت وتغيرت، فأصل الانكدار الانصباب فتسقط فى البحار فتصير معها نيرانا إذا ذهبت الحياة.

ومن مشاهد ذلك اليوم فى تلك السورة بعثرة القبور، أى تحركها فيخرج من فيها للحساب أمام رب العالمين.

فإذا حدث ذلك كله علمت كل نفس ما قدمت وأخرت من أعمال قد أحصيت عليها كما جاء فى قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير: ١٠).

ومن مشاهد ذلك اليوم فى سورة الانشقاق قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ

انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١ ـ ٥).

عن أبى سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١) فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها(١).

وفى البخارى أيضاً عن أبى رافع قال: صليت مع أبى هريرة العتمة فقرأ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١)، فسجد، فقلت له فقال: سجدت خلف أبى القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه.

وانشقاق السماء مثل انفطارها يوم القيامة كما ذكرنا، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أى استمعت لربها وأطاعته فيما أمرها من الانشقاق وحق لها أن تطيعه لأن ذلك أمر عظيم(٢).

ومدت الأرض أى بسطت وفرشت ووسعت، وهو يوم تبدل فيه الأرض كما قال تعالى أيضاً: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يا رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلىّ.

فيقول الله عز وجل: صدق.

ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض.

قال: وهو المقام المحمود(٣).

(١) رواه مالك ومسلم فى الصحيح والنسائى وأبو داود.

(٢) وقال أيضاً: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ (المعارج: ٨) وقوله: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: ٣٧) وكالمهل أى كالصوف المنفوش الضعيف، وكالدهان كالفضة المذابة وكلها وصف لحال السماء فى ذلك اليوم.

(٣) رواه ابن جرير وذكره ابن كثير فى تفسيره سورة الانشقاق.

10

أحوال الخلق يوم القيامة

- ذكر حال السموات والأرض والجبال يوم القيامة فى القرآن الكريم.
- تخيل حالك يوم القيامة وقد بلغ العرق منك مبلغاً.



أحوال الخلق يوم القيامة
(نظرة عامة)

يوم القيامة يوم الفزع الأكبر حيث يحشر الله جميع المخلوقات من الإنس والجن والحيوانات عراة أذلاء قد نزع من ملوك الأرض سلطانهم، وأقبلت الوحوش المفترسة منكسة رؤوسها وقد زال عنها توحشها من هول ذلك اليوم العظيم، وأقبلت شياطين الجن والإنس أذلاء ترتعد فرائصهم وكانوا فى الدنيا قد تمردوا وعتوا وأشاعوا الفساد وآذوا العباد وأرهبوهم.

وتخيل أيها الموظف المرتشى الذى أضعت حقوق العباد بعد أخذك الرشوة وأنت فى هذا الموقف العظيم ذليل.

وتخيل أيها الظالم لخلق الله يا من أكلت ميراث أخيك أو أختك أو أكلت مال اليتيم، قد استحللته فى الدنيا، وأنت يوم القيامة تقف ذليلاً أمام رب العالمين ليأخذ حقٍّ من ظلمته منك وقد انتهت الدنيا فلا تستطيع رد المظالم والحقوق، فينتهى بك الأمر بأن تطرح فى النار.

ومن أهوال ذلك اليوم العظيم أن تتغير السموات والأرض والجبال وتتناثر النجوم وتطمس الشمس والقمر، وقد تفرد القرآن الكريم بذكر تلك التغيرات وتلك الأهوال للسموات والأرض والجبال:

ذكر حال الأرض والسموات والجبال يوم القيامة

١ ـ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٢٤).

٢ ـ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

٣ ـ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (مريم: ٩٠).

٤ ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (الروم: ٢٥).

٥ ـ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦٧ ـ ٦٩).

٦ ـ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق: ٤٤).

٧ ـ ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ (الواقعة: ٤، ٥).

٨ ـ ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة: ١٤).

٩ ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ (المزمل: ١٤).

١٠ ـ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (الانشقاق: ١ ـ ٣).

١١ ـ ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (الفجر: ٢١).

١٢ ـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ١ ـ ٨).

١٣ ـ ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٧).

١٤ ـ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الحديد: ١٧).

١٥ ـ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: ٨٧).

١٦ ـ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

١٧ ـ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ (الفرقان: ٢٥).

١٨ ـ ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (الطور: ٩، ١٠).

١٩ ـ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: ٣٧).

٢٠ ـ ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٦).

٢١ ـ ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ (المعارج: ٨، ٩).

٢٢ ـ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (المرسلات: ٩، ١٠).

٢٣ ـ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: ١ ـ ٦).

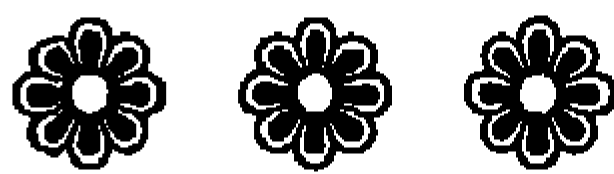
٢٤ ـ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (التكوير: ١١).

٢٥ ـ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (الانفطار: ١ ـ ٤).

٢٦ ـ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (طه: ١٠٥).

٢٧ ـ ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (النبأ: ٢٠).

٢٨ ـ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (القارعة: ٥).



تخيل حالك يوم القيامة
وقد بلغ العرق منك مبلغه

هكذا جمعت آيات القرآن تلك الأحداث العظام للسموات وما فيها من النجوم والشمس والقمر والأرض وما عليها من البشر والحيوانات والجن وما بداخلها من أصحاب القبور.

فتخيل أيها الغافل تلك المشاهد كلها وقد تكاملت عدة أهل الأرض من الانس والجن والشياطين والحيوانات المتوحشة والأليفة، استووا كلهم فى موقف العرض والحساب، تناثرت النجوم من فوقهم وطمست الشمس والقمر وأظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها من الشمس والقمر.

وانظر وأنت ومن حولك من الخلائق وقد صارت الشمس وردة كالدهان، والسماء من فوقك وقد دارت بعظمها من فوق الرؤوس ثم انشقت بغلظها، وأنت تسمع انشقاقها تزلزل وجدانك وجسدك المرتعش المرتعب، ثم تمزقت السماء بعد انشقاقها.

ثم ترى السماء بعد انفطارها قد أذابها ربها حتى صارت كالفضة البيضاء المذابة تخالطها صفرة لهذا الفزع العظيم.. إنها وردة كالدهان كما أخبرنا الحق جل وعلا ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: ٣٧).

وتخيل تحدر الملائكة من السحاب وهم بأجسامهم العظيمة ذوات الأجنحة الكبيرة وقد أحاطوا بالموقف العظيم للعرض والحساب وقد علت

أصواتهم بتقديس وتسبيح الملك الجبار مالك يوم الدين، وهم مع ذلك منكسون رؤوسهم لذل العرض على الله عز وجل.

وتخيل وأنت مع أهل الموقف وقد كسيت الشمس حر عشر سنين ودنت من رؤوس الخلائق قاب قوسين أو أدنى لا ظل لأحد إلا ظل عرش الرحمن رب العالمين.

لقد تقطعت الأعناق والحناجر من العطش وحر الشمس وتزاحم الخلائق، وقد فاض العرق منهم حتى بلغ من بعضهم نحو كعبيه ومنهم قد ألجمه العرق حتى شحمة أذنيه، ومنهم من كاد أن يغيب فى عرقه، كل حسب عمله وذنوبه فى الدنيا.

عن عمير بن سعيد النخعى الكوفى قال: جلست إلى عبد الله بن عمرو ﵄ وأبى سعيد الخدرى ﵁ وذلك يوم الجمعة فقال أحدهما لصاحبه: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أين يبلغ العرق من ابن آدم يوم القيامة؟

فقال أحدهم: شحمة أذنيه.

وقال الآخر: يلجمه.

فقال ابن عمر: هكذا، وخط من فيه إلى شحمة أذنيه.

فقال: ما أرى ذلك إلا سواء[(١)].

وفى الصحيحين عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الرجل - وقال على مرة إن الكافر - ليقوم يوم القيامة فى بحر رشحه إلى أنصاف أذنيه من طول القيام.

وفى رواية الطبرانى قال ﷺ: إن الكافر يلجم بعرقه يوم القيامة من طول ذلك اليوم، حتى يقول رب ارحمنى ولو إلى النار»[(٢)].

(١) رواه مسلم انظر شرح النووى لصحيح مسلم.

(٢) أخرجه الطبرانى وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب وقال الهيثمى. رجال الكبير رجال الصحيح وقال المنذرى: إسناده جيد.

فيا ترى ما يبلغ العرق منك أيها الغافل عن ذلك.. تخيل ذلك.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٦).

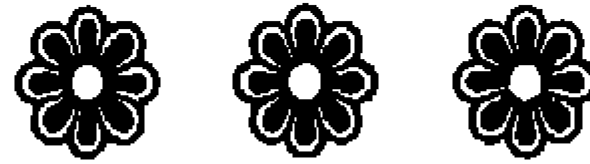
روى عن بعض السلف أنه نام فرأى فى المنام القيامة وكأنه فى الموقف عطشان وصبيان صغار يسقون الناس.

قال: فناديتهم ناولونى شربة.

فقال لى واحد منهم: ألك فينا ولد.

فقلت: لا.

فقال: فلا إذًا(١).

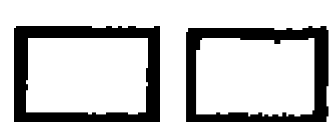


(١) التذكرة نقلاً عن كتاب كشف علوم الآخرة للإمام الغزالى، وقد جاء فى الأثر والأحاديث النبوية أن من مات له طفل كان له فرطا فى ميزان حسناته يوم القيامة ويأخذ بيده إلى الجنة. ويشترط الصبر على موت ذلك الصبى الذى لم يبلغ الحلم، والله أعلم.

12

أهوال يوم القيامة

- الخوف من أهوال يوم القيامة ينجي من كربها.
- أحوال العباد يوم القيامة.
- المفلس يوم القيامة من أمة محمد ﷺ.
- القصاص من الخلق كلهم إنس وجن وحيوانات.



الخوف من أهوال يوم القيامة
ينجى من كربها

ليس الحديث عن أهوال القيامة بحديث السمر يُسمَع ثم يُنْسَى، وإنما هو تذكرة لمن أراد الذكرى، ومن أراد الآخرة فيراها قبل أن تقع وهذا ما حدثنا عنه رسولنا ﷺ ونزلت به آيات الذكر الحكيم.

قال رسول الله ﷺ: «خوفنى جبريل من يوم القيامة حتى أبكانى».

فقلت: يا جبريل ألم يغفر لى ربى ذنبى ما تقدم وما تأخر؟

فقال لى: يا محمد لتشهدن من هول ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة»(١).

ومن أهوال ذلك اليوم أن تدنى الشمس من رؤوس العباد كما ذكرنا لا يضر جرها مؤمنا كامل الإيمان ومن استظل بظل عرش الرحمن كما جاء فى الحديث الصحيح: سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله:

١ ـ الإمام العادل.

٢ ـ وشاب نشأ فى عبادة الله.

٣ ـ ورجل قلبه معلق بالمساجد.

٤ ـ ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه.

٥ ـ ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال

---

(١) التذكرة، وقد ذكره أبو الفرج بن الجوزى.

فقال: إنى أخاف الله.

٦ ـ ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

٧ ـ ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.

أما غير هؤلاء فهم متفاوتون فى العرق كما دلت على ذلك أحاديث النبى ﷺ، حيث قال: «إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين عاما وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو آذانهم».

وعن ابن المبارك قال: اخبرنا الأوزاعى قال: سمعت بلال بن سعيد يقول إن للناس يوم القيامة جولة وهو قوله عز وجل﴿يَقُولُ الإنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ وقوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ﴾.

وفى حديث مسلم ايضاً قوله ﷺ:

« تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل»(١).

قال سليم بن عامر: فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكحل به العين، (المرود الذى تكحل به العين).

قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاما، قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه.(٢)

وذكر أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى معاوية عن عاصم عن أبى عثمان عن سلمان قال: تُعطَى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين.

قال: فيعرقون حتى يرشح العرق فى الأرض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل.

قال سلمان: حتى يقول الرجل غر غر فإذا رأوا ما هم فيه قال بعضهم لبعض ألا ترون ما أنتم فيه، ائتوا أباكم آدم فيشفع لكم... الحديث.(٣)

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم فى صحيحه.

(٣) سيأتى ذكره فى حديث الشفاعة الكبرى.

وذكر ابن المبارك بسنده أن عبيد الله بن العيزار قال: إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل فى القرن، السعيد الذى يجد لقدميه موضوعاً يضعهما عليه، وإن الشمس تدنى من رؤوسهم حتى لا تكون بينهم وبين رؤوسهم، إما قال ميلاً أو ميلين ثم يزاد فى حرها بضعة وستون ضعفاً.

وعند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى ألا إن فلان ابن فلان قد ثقلت موازينه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

ألا إن فلان بن فلان قد خفت موازينه وشقى شقاء لا يسعد بعده أبداً.

قال رجل لعبد الله بن عمر ﷺ: إن أهل المدينة ليوفون الكيل يا أبا عبد الرحمن:

قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ١ - ٦).

قال: إن العرق ليبلغ أنصاف آذانهم من هول يوم القيامة وعظمه(١).

قال أبو حامد الغزالى رحمه الله: واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر فيخرجه الحياء والخوض فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العارف فى تحمل مصاعب الدين أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانفطار فى القيامة فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته(٢).

---

(١) التذكرة.

(٢) انظر كشف علوم الآخرة، للغزالى.

أحوال العباد يوم القيامة

إنه يوم يجعل الولدان شيباً.. يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يوم تختلف فيه الأهوال والأحوال حسب أعمالهم فى الدنيا.

فتخيل أيها العبد الضعيف ذلك اليوم وقد خرجت الناس من القبور سراعاً كأنهم إلى نُصُب يوفضون، الكل قد خشعت أبصارهم، يرجون رحمة الله الواحد القهار، يخرجون سراعاً كما صور الله ذلك الموقف فى آيات من سورة المعارج:

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (المعارج: ٤٣، ٤٤).

ولاشك أنك أحد هؤلاء، وقد انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: مؤمن وكافر وعاص.

تخيل نفسك وقد ألجم العرق الكافر حتى إنه يقول: رب ارحمنى ولو إلى النار.

تخيل ذلك والناس معك منتظرون لفصل القضاء إما إلى الجنة وإما إلى النار، وقد طال الوقوف والناس لا يتكلمون وقد أخرسهم الذهول، وطال وقوفهم ثلاثمائة عام لا يأكلون ولا يشربون.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٦).

قال قتادة أو كعب الأحبار فى تفسير هذه الآية: يقومون مقدار ثلاثمائة عام.

وقال الحسن البصرى: ما ظنك بأقوام قاموا لله عز وجل على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى إذا

انقطعت أعناقهم من العطش واحترقت أجوافهم من الجوع، انصُرِف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية، قد آن حرها واشتد نفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً فى طلب من يكرم على مولاه أن يشفع لهم فى الراحة من مقامهم وموقفهم لينصرفوا إلى الجنة أو إلى النار من وقوفهم.

تخيل الكافر يومئذ وهو يَعَضُّ على أنامله ندماً على ما فاته من اتباع الرسل، ويندم على اتباع أصحاب السوء الذين أضلوه السبيل.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩).

تخيل وقد بلغ العرق من الكافر إلى أنصاف أذنيه وهو يحاول أن ينجوَ بنفسه ويلتقط أنفاسه.

قال ﷺ: «يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه»(١).

وقال أيضاً: يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»(٢).

هكذا وقد دنت الشمس من رؤوس الناس حتى لا يكون بينها وبينهم إلا مقدار ميل.

تخيل وقفة الظالم أمام رب العالمين وقد جاء المظلوم ليأخذ حقه منه.

قال ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء، فليتحلل منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(٣).

---

(١)، (٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم.

المفلس يوم القيامة

تخيل وقد جيء بكل من ظلمتهم فى الدنيا ليأخذوا منك حقهم يوم القيامة، والحقوق أنواع منها المادية العينية ومنها الأدبية، ومنها حقوق تخص العباد وأخرى تخص رب العباد.

يأتى من شتمته فيأخذ منك حقه، من حسناتك ويأتى من أخذت ماله ظلماً وعدواناً أو نصباً أو رشوة فيأخذ من حسناتك إن كانت لك حسنات، يأتى من تكلمت فى عرضه عن طريق الغيبة والنميمة والمشاركة فى الإشاعات المغرضة أو شهادة الزور.

يأخذون حسناتك حتى تفنى فيأخذ من سيئات الآخرين أصحاب الحقوق عليك فتطرح عليك.. ثم تطرح فى النار.

إن هذا هو وصف المفلس يوم القيامة كما أخبرنا بذلك رسولنا ﷺ حين قال لأصحابه:

ـ أتدرون من المفلس؟

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال: إن المفلس من أمتى، من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطَى هذه من حسناته وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذت من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار»[1].

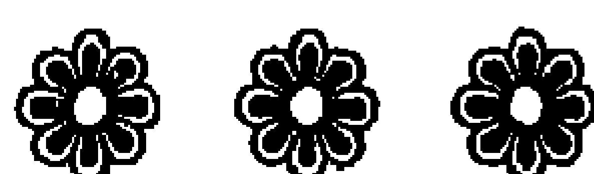
تخيل ذلك المسلم الذى جاء بحسنات يظن أنها نتجيه من أهوال ذلك اليوم، جاء بصلاة وصيام وزكاة لكنها لا تكفى لسداد ما عليه من حقوق العباد وينتهى به الحال لأن يطرح فى النار.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

تخيل يا من تأخذ أموال الناس وأنت لا تنوى سدادها وأنت واقف بين يدىّ مولاك يوم القيامة وقد جاء دائنك يطلب حقه منك، فيأخذ من حسناتك لتضاف إلى رصيده وإذا لم يكن لك حسنات تكفى طرحت عليك من سيئاته ثم أُخذت إلى النار!!

قال ﷺ: «من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته ليس ثم (هناك) دينار ولا درهم»(١).



(١) رواه ابن ماجه فى سننه بإسناد صحيح.

13

ونضع الموازين القسط

- يوم القيامة هو يوم القصاص من الخلق كلهم.
- من هم الأخسرون أعمالاً يوم القيامة؟!

يوم القيامة هو يوم القصاص من الخلق كلهم

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل فقعد بين يدى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لى مملوكين يكذبوننى، ويخوننى، ويعصوننى، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟

فقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك.

وإن كان عقابك إياهم دون ذنبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتص لهم منك».

فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكى(١).

هكذا يكون ذلك اليوم وتكون عدالة الله فيه بين الخلق كلهم حتى الحيوانات بعضها البعض.

تخيل أيها المسلم ذلك اليوم يوم القصاص وقد حذرنا رسولنا ﷺ من الظلم فى الدنيا لأن الظلم ظلمات يوم القيامة.

(١) رواه الترمذى فى سننه، انظر مشكاة المصابيح والمسند لأحمد بن حنبل، وقد قرأ رسول الله ﷺ على الرجل قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

قال ﷺ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»(١).

وقال أيضاً: «الظلم ظلمات يوم القيامة»(٢).

وتخيل في هذا اليوم وأنت ترى الوحوش وقد حشرت كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير: ٥).

ويقتص الله للشاة الجماء (التى ليس لها قرون) من الشاة القرناء، ثم يقول الحق جل وعلا لهم جميعاً كونوا تراباً.. فيقول الكافر يومها: يا ليتنى كنت تراباً.

وقال أهل العلم إن ذكر القصاص من الشاة وغيرها وهى غير مكلفة لإعلام العباد أن الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم»(٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: ٤٠).

ذكر ابن جرير فى تفسيره عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أن الله يحشر الخلق كلهم، كل دابة وطائر وإنسان، يقول للبهائم والطير: كونوا تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: ٤٠).

وقال أيضاً: «لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»(٤).

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.
(٢) رواه البخارى فى صحيحه.

(٣) وقد أنكر بعض العلماء حشر الحيوانات يوم القيامة لكون الحيوانات غير مكلفة، لكن ظاهر الراية «وإذا الوحوش حشرت» (التكوير: ٥). يدل على حشرها، والحشر يلزم القصاص ثم تصير تراباً فلا جزاء أو ثواب عليها.

قال الشوكانى فى تفسيره «فتح القدير»:

الوحوش ما توحش من دواب البر، ومعنى حشرت بعثت، حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء». والجماء أى لا قرن لها.

(٤) رواه مسلم فى صحيحه، والجلحاء أى التى لا قرون لها.

وقال أيضاً: «يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء، وحتى الذَّرَّة من الذرة»(١).

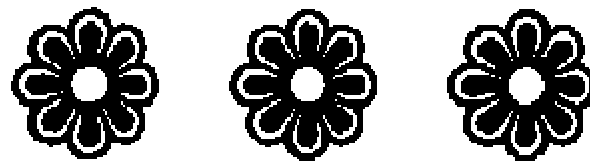
وقال أيضاً: «والذى نفسى بيده ليختصمن كل شىء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا»(٢).

رأى رسول الله ﷺ شاتين تنتطحان، فقال لأبى ذر رضي الله عنه: هل تدرى فيم تنتطحان؟

قال أبو ذر: لا.

قال ﷺ: ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما(٣).

والآيات التى ذكرناها عن الحشر والأحاديث الصحيحة عن حشر الحيوانات والقصاص منها أمام رب العالمين ثم صيرورتها تراباً بأمر الواحد القهار أدلة تكفى للرد على من أنكر ذلك من العلماء، مثل الآلوسى والغزالى، فمذهب الجماعة إثبات ذلك الحشر لجميع الخلق كما ذكرنا.



(١) أخرجه أحمد فى المسند ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد فى المسند.

(٣) رواه أحمد فى المسند.

الأخسرون «أعمالا» يوم القيامة

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ (إبراهيم: ١٨).

وقال أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ (الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٦).

وقال أيضاً: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣).

تخيل أيها المسلم وأنت فى ذلك اليوم العظيم وقد جىء بالكافرين للحساب أمام رب العالمين، لا مواكب ولا حاشية ولا منافقين ولا حاملى مباخر، ولا زمر ولا طبل، وإنما جىء بهم مقرنين فى الأصفاد سرابيلهم فى قطران وتغشى وجوههم النار.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم: ٤٨ ـ ٥٠).

هكذا يأتى الظلمة مهما كان شأنهم وقدوتهم فرعون موسى، مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد وهى الوثاق من غل السلسلة.

وأما ثيابهم من القمصان وقد طليت بالقطران وهى المادة التى تطلى بها الإبل إذا أصابها الجرب.

يومها يتحسر الكافر ويندم على عدم اتباعه الرسول الذى بعث إليه، يوم لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩).

ويود الكافر أن تُسَوَّى به الأرض ويتمنى أن يكون تراباً مثل الحيوانات!!.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢).

تخيل أيها المؤمن وقد جاء الكافرون والظالمون بأعمال خيرية قد نفعت الإنسانية فى الدنيا وظنوا أنها قد تنجيهم من هول ذلك اليوم مع كفرهم بالله وإلحادهم وعصيانهم لرسل الله عز وجل.

ونسوا أنهم أخذوا أجرهم فى الحياة الدنيا من رفع ذكرهم والأموال التى اكتسبوها من جراء ذلك، ولذلك فإن أعمالهم التى تكون كالجبال يوم القيامة يجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً.

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣).

لقد أبطل الله أعمالهم وأحبطها يومئذ فأساس قبول العمل النية وقبل النية الإيمان بالله ورسله وكتبه وهؤلاء الذين لم يقبل عملهم رغم كثرته هم الأخسرون أعمالاً.. الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً كما جاء ذكرهم فى آيات سورة الكهف، وهم كثيرون فى كل عصر وكل أوان وكل أمة ودولة.

وقد قال سعد بن أبى وقاص ﵁ حين سأله ابنه مصعب عن هؤلاء الأخسرين أعمالاً، قال سعد: هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب»[1].

وجاء هذا مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

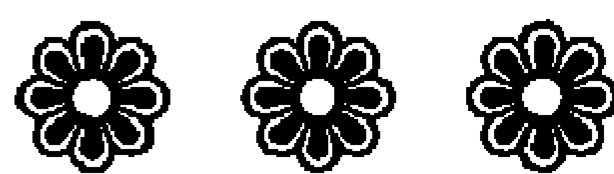
(آل عمران: ٨٥).

الإسلام هو دين كل الأنبياء منذ آدم ﵇ إلى محمد ﷺ وهو أساس قبول العمل الصالح عند الله عز وجل.

عن عائشة ﵂ قالت: يا رسول الله، ابن جدعان، كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟

قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين»[2].

وكان ابن جدعان من أهل مكة ولم يدرك الإسلام، وكان كثير الإنفاق على الفقراء والمساكين فى الجاهلية، وكأن عمله هذا قد أخذ أجره عليه من الله فى الدنيا لأنه لم يبتغ به الآخرة فلم يسأل الله المغفرة يوم القيامة، إلا أن التاريخ قد ذكر أنه من أهل الجود والكرم فكان ذلك حظه من عمله فى الدنيا.



(١) رواه البخارى فى صحيحه، كتاب التفسير.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان.

14

أول ما يُحَاسَب العبد عليه

- الصلاة أول ما يُحاسَبُ عليه العبد يوم القيامة.
- إذا قبلت الصلاة من الله قبلت سائر الأعمال الأخرى.

الصلاة... أول ما يُحاسَب عليه العبد يوم القيامة

الصلاة عمود الدين والركن الثانى من أركان الإسلام الخمسة بعد الشهادة، وهى أول ما يحاسب إليه المسلم يوم القيامة فإن قبلت منه قبل منه سائر أعماله.

قال ﷺ: «أول مايحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء»(١).

وقال أيضاً: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء»(٢).

فتخيل أيها المسلم وأنت واقف بين يدى الرحمن وهو يسأل عن صلاتك هل أقمتها كما أمرك أم أنك من المفرطين أو الساهين، هل أديتها فى وقتها أم أنك لم تصلِّ أو لم تحافظ على صلاتك فى مواقيتها».

عن يحيى بن سعيد قال: بلغنى أن أول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة، فإن قُبلت منه نظر فيما بقى من عمله، وإن لم تقبل منه لم ينظر فى شىء من عمله(٣).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة».

---

(١) رواه النسائى. (٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى واللفظ لمسلم.

(٣) رواه مالك فى الموطأ ونقله عنه القرطبى فى التذكرة.

قال: يقول ربنا عز وجل لملائكته، انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كُتبت له، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدى من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه.

ثم تؤخذ الأعمال على ذلك(١).

ومن هذا الحديث استدل البعض من العلماء ممن يرى أن النقص فى الفريضة تكملها صلاة التطوع النافلة أو السنن وكذا إن كانت على المسلم صلاة لم يصلها من الصلوات المفروضة، والله أعلم.

وقال ابن عبد ربه رحمه الله: أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها وسجودها ولم يدر قدر ذلك.

وأما من تعمد تركها أو شيئاً منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامداً واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه، والله أعلم.

وفى رواية النسائى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:

«أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة صلاته، فإن وجدت تامة كتبت تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه، ثم سائر الأعمال تجرى على ذلك».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ومن يضيعها - أى الصلاة - فهو لما سواها أضيع.

وتخيل رب العباد يسأل عبده الذى لم يتم أركان الصلاة فأضاعها كما ينبغى وكما أمرنا رسولنا ﷺ فكان ممن يسرق من صلاته وينقرها نقر الديكة، ودخل فيمن قال عنهم ربنا عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائى والترمذى وقال: حديث حسن غريب واللفظ لأبى داود.

قد جاء ذكر الصلاة فى القرءان الكريم نحو ٦٧ مرة تأكيداً لأهميتها وقدرها، ولذلك فعلى المسلم المحافظة على أداء الصلوات الخمس فى أوقاتها.. والحذر الحذر من تضييع الصلاة بأن تكون آخر ما تهتم به فى شؤون حياتك الدنيا.

قال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٤ ـ ٥).

وقد توعد الحق سبحانه وتعالى الذين أضاعوا الصلاة «بالغى» فى الآخرة، والغى أى الخسارة يوم القيامة.

قال ابن كثير فى تفسيره: وقد اختلفوا فى المراد بإضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون: المراد بإضاعتها تركها بالكلية، قاله محمد بن كعب القرظى وإبن زيد وابن أسلم والسدى واختاره ابن جرير وهو المشهور عن الإمام أحمد، وقول عن الشافعى إلى تكفير تارك الصلاة للحديث: «بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة». والحديث الآخر: «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها كفر».

وقال آخرون: «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة إنما أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كفراً».

وقيل لابن مسعود ﷺ: إن الله يكثر ذكر الصلاة فى القرآن ﴿عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، و ﴿عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، و ﴿عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فقال ابن مسعود على مواقيتها[1].

وقال مسروق: لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيُكتب من الغافلين، وفى إفراطها الهلكة، وإفراطهن إضاعتهن عن وقتهن.

قال الأوزاعى: لم تكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت.

فتخيل أيها المسلم المضيع للصلاة بالكلية ما هو مصيرك وجزاؤك وأنت واقف بين يدى الله عز وجل يسألك عن صلاتك ماذا فعلت بها؟!

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣.

فمن إضاعة الصلاة أيضاً ألا يقيم المسلم المصلى حدود الصلاة من الطهارة وتمام الركوع والسجود وباقى أركانها وهو مع ذلك يعتقد أنه يحسن أداء الصلاة.

قال ﷺ: لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود»(١).

وقال الشافعى وأحمد وإسحاق: من لم يقم صلبه فى الركوع والسجود فصلاته فاسدة لحديث النبى ﷺ فى الحديث السابق.

وقال حذيفة بن اليمان ﷺ لرجل صلى أمامه وهو لا يتم ركوعه ولا سجوده:

ما صليت ولو مُت وأنت تصلى هذه الصلاة لمت على غير سنة محمد ﷺ(٢).

والذى لا يتم ركوعه ولا سجوده فى الصلاة هو سارق من صلاته وهذه السرقة هى أسوأ أنواع السرقة كما جاء فى الحديث النبوى الذى رواه مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد عن النعمان بن مرة الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال:

«ما ترون فى الشارب - أى شارب الخمر - والسارق والزانى.

قال: وذلك قيل أن ينزل فيهم.

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذى يسرق صلاته.

قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق صلاته؟

قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها.

وتخيل وأنت فى الدنيا تصلى صلاة كاملة والصلاة تقول لك: حفظك الله كما حفظتنى، ثم ترفع الصلاة لرب العالمين.

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح. (٢) رواه البخارى والنسائى.

وتخيل وأنت فى الدنيا وقد ضيعت الصلاة فلا تتم ركوعها ولا سجودها، فتقول لك الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتنى.

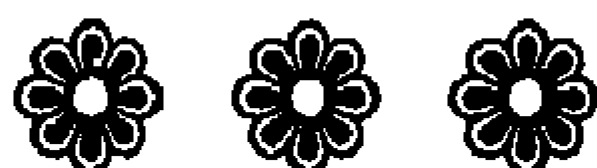
ثم تُلَف الصلاة كما يُلَفُّ الثوب القديم ويضرب بها وجهه!!.

هذا هو حال الذى لا يتم ركوعه ولا سجوده فى الصلاة فما بالك ممن ترك أداء الصلاة بالكلية؟!

قال ﷺ: إذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها، قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتنى، فتُرفع.

وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتنى.

فتلف كما يُلف الثوب الخَلِق ـ القديم ـ فيضرب بها وجهه[1].



(١) رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده.

15

الزكاة يوم القيامة

- حساب مانعى الزكاة وعقابهم يوم القيامة..
- يوم تحمى عليهم نقودهم فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.



الـذيـن يـبـخـلـون بما آتـاهـم الله من فضله (مانعو الزكاة) يوم القيامة

الزكاة هى الركن الثالث من أركان الإسلام وهى بعد الشهادة والصلاة، وقد اقترنت الزكاة بالصلاة فى آيات الذكر الحكيم لعظم شأنها وأهميتها، كما قال تعالى فى أول سورة البقرة:

﴿الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٤٣).

وقد ذكرت الزكاة فى القرآن الكريم ٣٢ مرة وقد قرنت بالصلاة وطاعة الله ورسوله ﷺ وذلك من كمال الإيمان بالله عز وجل.

والزكاة اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله عز وجل إلى الفقراء، وهى تزكية للنفس وطاعة لله عز وجل وهى من النماء والطهارة تنمى المال وتطهره.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣).

وقد فرضها الله سبحانه وتعالى فى أموال الأغنياء للفقراء كما قال ﷺ:

«إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء، إذ جاعوا أو عروا، إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا

وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً»(١).

وعن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال: إنك تأتى قوماً أهل كتاب، فادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة.

فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم، وترد إلى فقرائهم.

فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٢).

وفرضت الزكاة على المشهور فى السنة الثانية من الهجرة النبوية، وكانت فى مكة قبل الهجرة مطلقة لم يحدد فيها المال ولا المقدار الذى تجب فيه، ثم حدد المال الذى يجب فيه الزكاة بعد الهجرة لمن ملك ٨٥ جراماً من الذهب الخالص وقد حال عليه الحول أى سنة هجرية كاملة أن يؤدى ربع العشر وذلك فى زكاة الذهب والوَرِق (الفضة) النقدى(٣). الآن وكذلك زكاة الفضة وهناك أنواع أخرى للزكاة مثل زكاة الماشية والزروع وغير ذلك ولكل منها حكمها(٤).

وقد ذكر الحق جل وعلا عقاب وعذاب مانعى الزكاة يوم القيامة وبشرهم بالعذاب الأليم فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ

---

(١) رواه الطرانى فى الأوسط والصغير.

(٢) رواه الجماعة: البخارى ومسلم وأحمد وابن ماجه وأبو داود والنسائى.

(٣) أما الفضة فنصابها مائتى درهم وفيها أيضاً ربع العشر، ولا يضم الذهب إلى الفضة فلكل منهما نصاب، انظر فقه السنة ـ السيد سابق.

(٤) انظر فقه السنة السيد سابق.

وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤، ٣٥).

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

وقال ﷺ: «ما من صاحب كنز ـ أى مال وجبت فيه الزكاة ـ لا يؤدى زكاته، إلا أُحمى عليه فى نار جهنم، فيجعل صفائح، فتكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

وما من صاحب إبل لا يؤدى زكاتها، إلا بطح ـ أى بسط ـ لها بقاع قرقر ـ المستوى الواسع ـ كأوفر ما كانت تستن عليه ـ أى تجرى ـ كلما مضى عليه أخراها، ردت عليه أولاها، حتى يحكم الله بين عباده، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يُرى سبيله، إما إلى الجنة، وأما إلى النار.

وما من صاحب غنم لا يؤدى زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر، كأوفر ما كانت، فتطؤه بأظلافها، وتنطحه بقرونها، ليس فيها عقصاء ـ أى ملتوية القرون ـ ولا جلحاء ـ لا قرون لها ـ كلما مضى عليه آخراها، ردت عليه أولاها، حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

قالوا: فالخيل يا رسول الله!

قال: الخيل فى نواصيها.

أو قال: الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الخيل ثلاثة، هى لرجل أجر، ولرجل سِتر، ولرجل وزر.

فأما التى هى له أجر، فالرجل يتخذها فى سبيل الله، ويعدها له، فلا تغيب شيئاً فى بطونها، إلا كتب الله له أجراً.

ولو رعاها فى مرج ـ أى المرعى ـ فما أكلت من شىء، إلا كتب الله له بها أجراً، ولو سقاها من نهر، كان له بكل قطرة تغيبها فى بطونها أجراً(١). وذكر باقى الحديث.

وقال أيضاً: «من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعنى شدقيه ـ ثم يقول: أنا كنزك، أنا مالك»(٢).

ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ **(آل عمران: ١٨٠)**.

فتخيل أيها المسلم وقد وقفت بين يدى الله ولم تؤد زكاة مالك فى الدنيا وأنت غير منكر لفريضها وإنما من باب الكسل عن أداء الفرض أو البخل به، وقد تمثل لك الشجاع الأقرع وهو الذكر من الحيات الذى ذهب شعره وكثر سمه وفوق عينه نكتتان سوداوان، وقد طوقك يوم القيامة ثم يأخذ بشدقيك ويقول لك: أنا كنز، أنا مالك(٣).

وتخيل أيضاً وقد أحمى على مالك من ذهب وفضة ونحوها فى نار جهنم ثم تكوى بها جبهتك وجسدك حتى يقضى الله فى أمرك يوم القيامة.

أما النقود الورقية ستتحول إلى معدنية يكوى بها جسم البخيل بما منع ما فرض عليه من زكاة.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد، والخيل لا زكاة فيها إلا إذا اتخذت للتجارة فالزكاة فى مال التجارة.

(٢) متفق عليه.

(٣) من أنكر الزكاة مثل من أنكر الصلاة كافر ومثله أيضاً من أنكر أحد الأركان الخمسة أو أى شىء معلوم من الدين بالضرورة.

16

الذين لا يكلمهم الله ولا يزكيهم يوم القيامة

- كاتم العلم.
- المسبل إزاره.
- المنفق سلعته بالحلف الكاذب.
- المنان.
- المرأة المترجلة.
- الدَّيوث (الذى يقر فى أهله الخبائث).
- العاق والديه.
- الشيخ الزانى.
- الملك الكذاب.
- الفقير المستكبر.



الذين لا يكلمهم الله ولا يزكيهم يوم القيامة

خاب وخسر من لا يكلمه الله ولا يزكيه يوم القيامة..

فمن هؤلاء الخاسرون؟!

الذين يكتمون العلم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ **(البقرة: ١٧٤، ١٧٥)**.

قال ابن كثير فى التفسير: وذلك لأنه تعالى غضبان عليهم لأنهم كتموا وقد علموا، فاستحقوا الغضب، فلا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، أى لا يثنى عليهم ولا يمدحهم بل يعذبهم عذاباً أليماً».

وقال أيضاً: يعنى اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ فى كتبهم التى بأيديهم مما تشهد له الرسالة والنبوة فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم فخشوا لعنهم الله إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم، فكتموا ذلك على بقاء ما كان يحصل لهم من ذلك وهو نزر يسير.

ويدخل فى زمرة هؤلاء العلماء فى كل زمان ومكان الذين علموا ولم يعملوا ولم يوضحوا للناس أمور دينهم.

قال ﷺ: «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجوماً بلجام من نار»(١). عياذاً بالله تعالى.

وقال أيضاً: «من سُئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»(٢).

وهذا تحذير وترهيب لكل عالم يكتم علماً علَّمه الله إياه إبتغاء الكسب المادى فى الدنيا أو الخوف من الحاكم ونحوه.

ثلاثة لا يكلمهم الله:

وهناك ثلاثة أصناف من الناس لا يكلمهم الله ولا يزكيهم يوم القيامة ذكرهم رسولنا ﷺ حيث قال:

«ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب عظيم».

قال أبو ذر ـ راوى الحديث: يا رسول الله من هم؟ خسروا وخابوا.

وأعاده رسول الله ثلاث مرات.

قال: المسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمنان(٣).

وأول هؤلاء الثلاثة هو المسبل الذى يجر ثوبه خيلاء ولا يقصره، وهو أمر خاص بالرجل دون المرأة، فقد جاء تفصيله فى قوله ﷺ:

«لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه بطراً»(٤).

وقوله أيضاً: الإسبال فى الإزار والقميص والعمامة، من جر منها شيئاً تخيلاً لم ينظر الله إليه يوم القيامة»(٥).

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والبيهقى والحاكم بنحوه.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه وأحمد فى المسند. (٤) رواه البخارى.

(٥) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه.

والإسبال جرّ الثوب من إزاراً وقميص للرجل مرتبط بالخيلاء على عادة العرب فى الجاهلية، والسنة أن يقصر الرجل من ثوبه سواء كان قميصاً أو إزاراً إلا أن يسقط الثوب منه دون إرادة منه فليس خبلاء.

والتاجر الذى يبيع سلعته بالحلف الكاذب بقوله أيضاً ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقى الله وهو عليه غضبان».(١)

والحلف الكاذب من البائع لترويج ويبيع سلعته أمر مشتهر بين التجار فى كل زمان، وفيهم نزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ (آل عمران: ٧٧).

والمنان الذى يمن على غيره بالعطاء والفضل وهو أمر مذموم كما ذم الله تعالى قول جهلة الأعراب:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات: ١٧).

فالمنان هو الذى إذا أسدى معروفاً لغيره يذكره دائماً أنه صاحب فضل عليه.

ومن الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة رجل منع فضل ماء عن الناس، أى طُلب منه ماء زائد لديه لسقيه فلم يعطه، فيأتى يوم القيامة فيمنع الماء من الله عز وجل الذى يرويه يوم العطش الأكبر.

قال ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى: « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم... الحديث» ومنهم: «... ورجل منع فضل ماء فيقول الله يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلى، كما منعت فضل مالم تعمل يداك».

(١) متفق عليه.. وأيضاً قوله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعته: لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء، فيقول الله يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك». (رواه البخارى فى صحيحه).

وأيضاً هناك ثلاثة آخرون لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة:

عن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب عظيم: شيخ زان، وملك كاذب، وعائل مستكبر».(١)

فالثلاثة يقومون بأعمال لا تليق بهم من ناحية السن والمكانة الاجتماعية.

فالشيخ وهو الرجل الكبير فى السن وهو أملك لشهوته، إلا إنه يزنى وهو فعل شائن لا يليق بالإنسان خاصة لمن هو فى سنه.

والملك الكاذب، فهو قد ترقى فى الحكم واعتلى عرش الحكم فأصبح ملكاً أو رئيساً ولا يليق ولا يجوز له أن يكذب.

«والعائل المستكبر»: فالعائل هو الفقير، ورغم فقره الذى يورثه التواضع إلا أنه متكبر وهذا لا يليق بمثله.

وهناك أيضاً ثلاثة آخرون لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة وهم: العاق لوالديه، والمرأة المسترجلة، والديوث.

قال ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المتشبهة بالرجال، والديوث».(٢)

فالعاق لوالديه، قد قابل الإحسان بالإساءة لمن هم أصحاب فضل عليه، وقد ربياه صغيراً، وقد أمره الله ببر الوالدين والإحسان إليهما والدعاء لهما بالرحمة كما ربياه صغيراً، إلا إنه يرد أمر الله إليه فيكون الجزاء يوم القيامة من جنس العمل فى الدنيا.

والإحسان بالوالدين جاء بعد توحيد الله وعبادته.

---

(١) رواه مسلم والنسائى فى سننه.

(٢) رواه أحمد فى المسند والنسائى فى سننه والحاكم فى مستدركه.

قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء:٢٣).

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة:٨٣).

وقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء:٣٦).

وقال ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام:١٥١).

وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (الأحقاف:١٥).

عن أنس وغيره أن النبى ﷺ لما صعد المنبر ثم قال: «آمين آمين آمين».

قيل: يا رسول الله علام ما أمنت.

قال: أتانى جبريل فقال: يا محمد رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يُصَلِّ عليك، قل آمين.

فقلت: آمين.

ثم قال: رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له، قل آمين.

فقلت: آمين.

ثم قال: رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قل آمين.

فقلت آمين(١).

وقال أيضاً «إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم...» قالها ثلاثاً(٢).

---

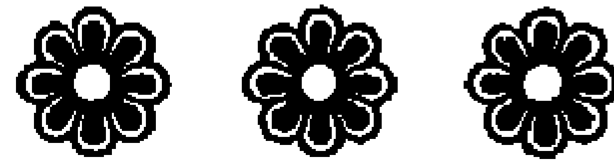
(١) ذكره ابن كثير فى تفسير سورة الإسراء جـ٣ ورواه أحمد والترمذى بنحوه.

(٢) رواه أحمد.

ثم تأتى المرأة التى تتشبه بالرجال وهى المترجلة سواء فى الكلام أو الملبس، فطبيعة المرأة النعومة والأنوثة وليس الخشونة، فالمسترجلة ى التى تخرج عن طبيعتها التى خلقها الله عليها.

وأما الديوث فهو الرجل الذى لا يغار على أهله أى امرأته أو ابنته أو أخته أو أمه، فالغيرة من شيم الرجال الأحرار أما الديوث فهو صنف مذموم من الرجال يرى الفاحشة فى أهله فلا يغضب بل إنه يأمر أهله بالفاحشة حتى إنه يصبح فى بعض الأحوال قواداً!! وقد حرم الله عليه الجنة.

فالديوث يرى أهل بيته من النساء اللائى تحت رعايته وقوامته كامرأته أو أخته أو بنته ولا يغار عليهن إذا خرجن مثلاً دون حجاب وقد أظهرت شعرها وأجزاء من جسدها أو مرتدية الضيق الذى يصف جسدها أو الملابس الشفافة التى تصف ما تحتها ونحو ذلك.



17

ذنوب تحول بين صاحبها ورضوان الله يوم القيامة

- الكبر.
- الغلول.
- الغدر.
- غصب الأرض.
- ذو الوجهين.
- احتجاب الحاكم عن رعيته.
- البصق تجاه القبلة.
- الكذب فى الحلم والرؤيا.
- الغنى الذى يسأل الناس.
- الغلول.



ذنوب تحول بين أصحابها ورضوان الله تعالى ورحمته يوم القيامة

هناك أصحاب ذنوب من المسلمين يستصغرونها تحجبهم عن الله ورحمته يوم القيامة، تبعدهم ولا تقربهم، فى يوم يرجو المرء فيه الرحمة والقرب من الله.

الكبر والمتكبرون:

إنها صفة ذميمة تنال المرء فى الدنيا حين يصبغ الله على عبده نعمة الصحة أو المال أو المنصب أو الوجاهة فيتكبر بها على خلق الله فيبغضه الله ويبعثه يوم القيامة فى صورة مهينة وذليلة أمام الخلق.

قال ﷺ: «يحشر المتكبرون أمثال الذَّرِّ يوم القيامة فى صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان».

فتخيل أيها المتكبر وأنت واقف بين يدى الله عرياناً ذليلاً ترتعد فرائصك ترجو رحمة ربك، وقد بعثك الله مثل الذر الذى هو صغار النمل، فالنمل من الحشرات التى لا يعبأ الناس بها ويطؤونها بأقدامهم، وكذلك يُفْعَل بالمتكبر يوم القيامة.

والتكبر والكبر فى الفعل والتصرفات وأيضاً يكون فى الأسماء، فهناك من الناس من يطلقون على أنفسهم أسماء تدل على الكبر أو يطلقونها على أبنائهم وهذا أمر يبغضه الله تعالى وهو من جملة الكبر.

قال ﷺ: «أخنع اسم عند الله يوم القيامة، رجل تسمى ملك الأملاك»(١).

(١) رواه البخارى والترمذى. وأخنع أى أصغر.

وفى رواية مسلم: «لا مالك إلا الله عز وجل».

وأيضاً قوله: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه وأغيظه عليه، رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله»(١).

ومثله من يطلق على نفسه لقب ملك الملوك أو شاهنشاه الغادر: والغدر من الأفعال المذمومة فى الدنيا وفى الآخرة، وهو الذى لا يوفى بوعده وتخيل أنك يوم القيامة وقد جيء بالغادر ونصب له لواء مثل راية الجيوش كى يفضح بين الخلق، وتكون الراية عند مؤخرته ويقال الناس هذه غدرة فلان.

وكانت العرب فى الجاهلية ترفع للغادر لواء فى مواسم الحج كما أنه كان يطاف بالجانى مع جريمته.

قال ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة».

أى أعظم الغادرين هو الحاكم والأمير والخليفة والرئيس إذا غدر لأنه يملك القوة والسلطان ولا حاجة به إلى الغدر وعدم الوفاء بوعوده لشعبه ومن يتولى أمره.

ويقول أيضاً صلوات ربى وسلامه عليه!

«لكل غادر لواء عند إسته ـ مؤخرته ـ يوم القيامة»(٢).

وقال أيضاً: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان ابن فلان»(٣).

إنها فضيحة يوم القيامة للغادر.

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه.

الغصب من الأرض:

الأرض بكل أنواعها البور والزراعية أعز ما يملك الإنسان ومن أجلها يحارب ويبذل الغالى والنفيس وتعلن الحروب بين الدول.

وقد حذر رسولنا ﷺ الشخص أن يأخذ من أرض غيره ولو شبراً أو أقل أن يخسف به يوم القيامة.

قال ﷺ: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»(١).

الحاكم المحتجب عن رعيته:

الحاكم أو الوالى أو الرئيس أو الأمير هو الذى يتولى أمر الناس ويصرف شؤونهم، ولذلك لا يحق له الاحتجاب عنهم، وبالتالى فإذا احتجب عنهم عاقبه الله يوم القيامة بأن يحتجب عنه والجزاء من نفس العمل.

قال ﷺ: «من ولى من أمور المسلمين شيئاً، فاحتجب دون خلتهم، وحاجتهم، وفقرهم وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته وفاقته وفقره»(٢).

وقد أشار النبى ﷺ إلى من ولى أمراً من أمور المسلمين سواء الخلافة والرياسة أو الإدارة، فهى رسالة موجهة إلى الجمع إلى المدير فى المصلحة الذى يغلق بابه دون الناس، ورئيس المصلحة الذى يجعل الحجاب دون بابه حتى أن دخول الجنة أسهل من الدخول عليه.

كل هؤلاء نبشرهم باحتجاب الله عنهم يوم لا ينفع منصب ورياسة ومال ولا جاه، يوم القيامة لرب العالمين.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم بإسناد صحيح.

فتخيل أيها المتولى أمراً من أمور الناس وقد احتجب عنهم فإن الله يحتجب عنك ويغلق أمامك باب رحمته يوم القيامة.

البصق تجاه القبلة:

القبلة هى الجهة التى يتوجه إليها المسلمون لأداء الصلاة فى اليوم والليلة، وهى تجاه الكعبة المشرفة.

وقد حذرنا رسولنا ﷺ من البصق فى القبلة أو استقبالها بالبول والغائط، ووجوب استدبارها فى تلك الأمور.

قال ﷺ: «تبعث النخامة فى القبلة يوم القيامة، وهى فى وجه صاحبها»[1].

فتخيل يا من تبصق فى القبلة التى يصلى إليها الناس يوم القيامة وقد ردت إليك تلك النخامة فى وجهك عقاباً لك على فعلتك.

من يدعى أنه رأى حلماً:

الحلم تراه وأنت نائم، قد تكون رؤية من الرحمن أو حلماً من الشيطان إلا أن البعض يكذب فيما يراه فى الحلم، فيعاقبه الله يوم القيامة.

قال ﷺ: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صب فى أذنه الآنك يوم القيامة».

والآنك: هو الرصاص المذاب.

والعقاب لمن يدعى أنه رأى فى منامه ولم يره ويكذب فى ذلك عقاب عجيب وعظيم، فيكلف بأمر لا يستطيع إتيانه.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحة.

وكذلك الرجل الذى يستمع إلى حديث قوم دون إرادتهم حتى إنهم يفرون منه يعاقب بصب الرصاص المذاب فى أذنه يوم القيامة إنه الجزاء من جنس العمل.

شر الناس يوم القيامة:

هل تدرى من هو شر الناس يوم القيامة؟، إنه أيضاً أشرهم فى الدنيا .

إنه ذو الوجهين.. المنافق، يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر!!

أخبرنا ﷺ أن ذا الوجهين يكون له لسان من نار يوم القيامة.

قال ﷺ: «من كان له وجهان فى الدنيا، كان له لسان من نار يوم القيامة»(١).

وقال أيضاً: «تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»(٢).

فلا تفرح يا ذا الوجهين بما تفعله فى الدنيا، من الضحك على الآخرين بحلاوة لسانك، وحسن منطقك، فإن يوم القيامة تنال جزاءك وعقابك من جنس عملك فى الدنيا.

الغلول: هو أخذ ما لا يستحق الفرد من مال الجماعة وهو على وجه الخصوص الأخذ من الغنائم التى تخص المسلمين على وجه الخفية وقد توعد الله فاعله بالفضيحة يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦١).

قال أهل التفسير: يأتى من غل بما غل وهو يحمله على ظهره يوم القيامة.

والغلول أيضاً ليس مقصوراً على الأخذ من غنائم الحرب وإنما يشمل

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد، والدارمى وأبو يعلى.

(٢) متفق عليه.

أكل أموال الناس بالباطل، وهو ما يفعله بعض ذوى النفوس الضعيفة من الموظفين العموميين من الأخذ من المال العام.

قال ﷺ: «لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول يا رسول، أغثنى.

فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك[1].

وعند مسلم: «لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت ـ الذهب والفضة ـ فيقول: يا رسول الله أغثنى.

فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

والأحاديث المرهبة من الغلول كثيرة وكلها فى هذا المعنى ومنها.

حديث أبى حميد الساعدى قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزْد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدى لى.

فقام رسول الله ﷺ على المنبر.

فقال: ما بال العامل نبعثه على عمل فيقول: هذا لكم، وهذا أهدى لى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدى إليه أم لا؟.

والذى نفسى بيده لا يأتى أحدكم منها بشىء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»[2].

فتخيل أيها الموظف أو العامل وقد جئت يوم القيامة بما أخذت من الناس من هدايا بسبب وظيفتك وأنت تظن أنها لك حلال وأنك لم تجبرهم على دفعها، وتسميها بغير اسمها وهى غلول وليست كما تظن أنها حلال أو كما يقولون حلاوة أداء العمل!!

---

(١) انظر مشكاة المصابيح، والحديث فى البخارى ومسلم أيضاً بألفاظ أخرى.

(٢) متفق عليه.

أيضا المتسولون السائلون الناس بغير حاجة: ـ

وهناك صنف من الناس اعتاد التسول وسؤال الناس دون حاجة له فى ذلك واتخاذ التسول حرفة يجمع منها المال.

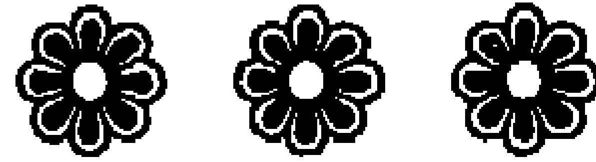
وهذا الصنف من الناس يأتى يوم القيامة وقد أحدثت مسألته للناس خدوشاً وجروحاً واضحة فى وجهه.

قال ﷺ: «من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً فى وجهه.

قيل: يا رسول الله، وما يغنيه؟

قال: خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب[1].

وقال أيضاً: «مسألة الغنى شَيْنٌ فى وجهه يوم القيامة»[2].



(١) رواه أبو داود والنسائى والترمذى والدارمى وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند.

18

أعمال تقرب أصحابها من عفو ورضوان الله يوم القيامة

- السعى فى حوائج الناس.
- التيسير على المعسرين.
- الشهادة فى سبيل الله.
- كظم الغيظ.
- الأذان والمؤذنون.
- الاستغفار والتوبة.
- الوضوء وفضله يوم القيامة.
- المشيب فى الإسلام.



الساعون فى حوائج إخوانهم
ومن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا

من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، فالجزاء من جنس العمل.

وكذلك من يسعى فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى عونه ومد له يد المساعدة يوم لا ينفع مال ولا بنون.

قال ﷺ: «من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه[1].

فالمسلم أخو المسلم وفى عونه دائماً، لا يظلمه ولا ينقص من حقه شيئاً وينصره فى كل الأحوال وإن كان ظالماً وذلك بالنصح ودفعه عن ظلم الآخرين.

قال ﷺ: «من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله فى الدنيا والآخرة»[2].

وقال أيضاً: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه، كان الله فى حاجته، ومن فَرَّج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة»[3].

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه. (٢) رواه البيهقى فى الشعب.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه.

تلك الحقوق التى أوجبها الله عز وجل على المسلم تجاه المسلم.

وستر المسلم عدم نشر أسراره وفضحه بين الناس، وألا يسلمه ظلماً لأعدائه ولاسيما غير المسلمين.

والسعى فى حاجة المسلمين عبادة لله عز وجل ينال جزاءه فى الدنيا والآخرة، وهذا ما فعله ابن عباس ﵄ حين خرج من اعتكافه فى مسجد رسول الله ﷺ لقضاء حاجة أحد المسلمين.

فضل الشهادة فى سبيل الله والجهاد:

فالجهاد والرباط (حراسة حدود الدولة الإسلامية) فى سبيل الله له الأجر العظيم يوم القيامة، فالشهيد فى سبيل الله يغفر الله ذنوبه عند خروج أول قطرة من دمائه، ويرى مقعده فى الجنة ويجار من عذاب القبر ومن الفزع الأكبر يوم القيامة، ويوضع على رأسه تاج الوقار. ويشفع فى سبعين من أهله.

كل ذلك الفضل للشهيد ذكره الرسول ﷺ فى قوله: «للشهيد عند الله ست خصال»:

- يغفر له فى أول دفعة. (أى من دمه)
- ويرى مقعده من الجنة.
- ويجار من عذاب القبر.
- ويأمن من الفزع الأكبر.
- ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها.
- ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.
- ويشفع فى سبعين من أقربائه[1].

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه وإسناده صحيح.

والمرابط فى سبيل الله هو الذى يتولى حراسة حدود أرض الإسلام من الأعداء وعلى الثغور وله فضل المجاهد فى سبيل الله.

قال ﷺ: رباط يوم خير من صيام الدهر، ومن مات مرابطاً فى سبيل الله أمن من الفزع الأكبر، وغُدِىَ عليه برزقه وريح من الجنة، ويجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله»(١).

ومن فَضْلِ الله على الشهيد أنه يبعثه يوم القيامة وجرحه يتفجر مسكاً بدلاً من الدم مع بقاء لون الدم على حاله وكأنه وسام على صدره يلقى به الله عز وجل.

قال ﷺ: «والذى نفسى بيده، لا يُكْلَمُ أحد فى سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم فى سبيله، إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم، والريح ريح المسك»(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله فى فتح البارى: «قال العلماء: الحكمة من بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذله نفسه فى طاعة الله تعالى».

كظم الغيظ والعفو عن الناس عند المقدرة:

من الأمور التى يحبها الله ورسوله ﷺ أن يكظم المؤمن غيظه، ويشمل هذا الكظم للغيظ العفو عن الناس، وقد ذكر الله الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس مع الذين ينفقون أموالهم فى السراء والضراء وأنهم من أهل الجنة ورضوان الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤).

---

(١) رواه الطبرانى وإسناده صحيح.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه، وجاء فى رواية الترمذى والنسائى «ومن جرح فى سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجىء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها الزعفران وريحها المسك».

هكذا يكرم الله هؤلاء المؤمنين على رؤوس الأشهاد فضلاً لهم فى الآخرة.

قال ﷺ: «من كظم غيظاً وهو يقدر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور العين شاء»(١).

وقد اشترط الرسول ﷺ فى الحديث السابق أن يكون كاظم الغيظ قادر على رد العدوان أو الأذى الذى تعرض له «وهو يقدر أن ينفذه».

وقال ﷺ: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته، ومن اعتذر إلىَّ قبل الله عذره»(٢).

وورد فى الآثار: يقول الله تعالى: يا ابن آدم اذكرنى إذا غضبتَ، أذكرك إذا غضبتُ، فلا أهلكك فيمن هلك»(٣).

وقال أيضاً: «ما تعدون الصُّرعة فيكم؟

قلنا: الذى لا تصرعه الرجال.

قال: لا، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب(٤).

عن أبى ذر رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»(٥).

وقال أيضاً: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تُطفَأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»(٦).

وقال أيضاً: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله جوفه أمناً وإيماناً، ومن ترك لبس ثوب جمال وهو قادر عليه، كساه الله حلة الكرامة، ومن توج لله كساه، تاج الملك»(٧).

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود. (٢) رواه أبو يعلى وفى إسناده نظر. (٣) رواه ابن أبى حاتم.

(٤) رواه البخارى ومسلم وذكره ابن كثير فى تفسيره للآية ١٣٤ سورة آل عمران.

(٥) رواه أحمد فى المسند. (٦) رواه أبو داود. (٧) رواه أبو داود.

فكظم الغيظ والعفو عن الناس من مقامات الإحسان ولذلك قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

وقال أيضاً: ثلاث أقسم عليهن، ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله»[١].

وقال أيضاً: من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه»[٢].

المستغفرون لذنوبهم والتائبون:

قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

(آل عمران: ١٣٥).

هكذا يكون حال المؤمن إذا أذنب أو فعل فعلاً يغضب الله فيتوب ويستغفر من فوره، أى يتبع الذنب توبةً واستغفاراً.

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ:

قال: «إن رجلاً أذنب ذنباً فقال: رب إنى أذنبت ذنباً فاغفر لى.

فقال الله عز وجل: عبدى عمل ذنباً فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى.

ثم عمل ذنباً آخر فقال: رب إنى عملت ذنباً فاغفره.

فقال تبارك وتعالى: علم عبدى أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى. ثم عمل ذنباً آخر فقال: رب إنى عملت ذنباً فاغفر لى.

فقال الله عز وجل: «عبدى علم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء»[٣] أى ما دام يتوب ويقبل الله توبته.

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ١.   (٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه.

(٣) رواه أحمد فى المسند والبخارى فى صحيحه.

وروى أهل السنن عن أبى بكر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ ويحس الوضوء فيصلى ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له»(١).

وفى الصحيحين قوله أيضاً: من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه».

وقال أيضاً: عليكم بلا إله إلا الله، والاستغفار، فأكثروا منها، فإن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم يهتدون»(٢).

ومن شروط قبول التوبة عدم العودة وعدم الإصرار عليها والندم على فعل الذنوب والمعاصى التى فعلها العبد التائب ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

(آل عمران: ١٣٥).

قال ﷺ: «ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة»(٣).

المقسطون والميَسّرون:

القسط هو العدل، والعدل فى كل شىء مرغوب فيه، فالعدل أساس الملك، وهؤلاء المقسطون على منابر من نور يوم القيامة فرحين بما قاموا به من عدل فى الدنيا.

قال ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، على يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلّوا»(٤).

(١) قال الترمذى حديث حسن، رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً وفيه...»... ثم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

(٢) رواه الحافظ أبو يعلى وفيه ضعف فى السند.

(٣) رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده ورواه أبو داود والترمذى والبزار فى مسنده بنحوه.

(٤) رواه مسلم فى صحيحه.

ومن يسَّر على مُعْسِرٍ تجاوز الله عنه يوم القيامة، والمعسر هو من عجز عن الوفاء بما عليه من دين مستحق.

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه! إذا أتيت معسراً تجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا.

قال:« فلقى الله فتجاوز عنه»(1).

وتلك قصة يرويها الرسول الكريم ﷺ عن رجل كان يداين الناس، أى قرض الناس وله ديون فى رقابهم قد اسْتُحِقَّت عليهم، فكان يقول لفتاه أو وكيله الذى أرسله لجمع ما له عند الناس: إذا أتيت معسراً تجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنا.

فقد أراد الرجل أن ينال عفو الله ورحمته يوم القيامة بفعله هذا، وقد استجاب الله له فتجاوز عنه يوم اللقاء.

وقد جاء ذكر هذا الرجل فى حديث آخر أنه لم يعمل خيراً قط فى حياته سوى ذلك الفعل وهو التيسير والعفو عن المعسرين.

قال ﷺ: «إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا».

فلما هلك قال: هل عملت خيراً قط؟

قال: لا، إلا أنه كان لى غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا.

قال الله: قد تجاوزت عنك(2).

وكذلك البائع الذى يتعامل مع الناس بكل أطيافهم غنيهم وفقيرهم وقد يسَّر على الموسر وأنظر المعسر عن السداد، كان جزاؤه وثوابه العفو يوم القيامة من الله.

(1) متفق عليه. (2) رواه النسائى وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح.

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ورجل آتاه الله مالاً فقال له: ماذا عملت فى الدنيا؟

فقال: ما عملت من شىء يا رب، إلا أنك أتيتنى مالاً، فكنت أبايع الناس، وكان خلقى - أى أخلاقه فى البيع - أن أيسر على الموسر وأُنظر المعسر.

قال الله تعالى: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدى(١).

فتخيل أيها التاجر وقد يسرت فى بيعك وشرائك على الموسر وعلى المعسر، على الناس كلهم وأنت واقف بين يدى الله يوم القيامة يسألك عن عملك، فذكرت له ذلك، فكان عفو الله وتجاوز عما فعلت من ذنوب وخطايا، وأدخلك جنته.

الأذان والمؤذنون:

المؤذنون المحتسبون الأجر من الله تعالى هم أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، فهم يرفعون أفضل الكلمات، ويدعون الناس إلى خير الأعمال وأفضلها فى أوقاتها.

قال ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة».

وطول العنق دليل على جمال الشكل والصورة والرفعة، والمؤذن أحق بذلك من غيره، فهو يدعو الناس للصلاة وينال الثواب كل من استمع له وأدى الصلاة من الإنس والجن.

قال ﷺ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة»(٢).

بل إن الدعاء بعد الأذان للنبى ﷺ بالوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة

---

(١) رواه الحاكم فى مستدركه بإسناد صحيح.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأذان.

توجب شفاعة النبى ﷺ كما روى ذلك البخارى فى صحيحه عن رسول الله ﷺ[1].

وكان ﷺ يقول لمن سمع الأذان أن يردد ما يقوله المؤذن.

قال ﷺ: «إذا سمعتم النداء ـ أى الأذان ـ فقولوا مثل ما يقول المؤذن[2].

الشيب فى الإسلام:

الشيب والمشيب هو بياض شعر الرأس لكبر السن مع التقوى والإيمان كما قال ﷺ: «من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»[3].

وأيضاً: «من شاب فى سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة»[4].

وقد نهى ﷺ الذى شاب شعر رأسه أو لحيته أن ينزع هذا الشيب لأن هذا الشيب نور له يوم القيامة.

فقال ﷺ: «لا تنتفوا الشيب فإنه نور يوم القيامة، ومن شاب شيبة فى الإسلام كانت له بكل شيبة حسنة، ورفع بها درجة»[5].

وقال: «الشيب نور المسلم، فمن شاء فلينتف نوره»[6].

وأيضاً: «الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل فى الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة، ورفع بها درجة»[7]

(١) قال ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته، حل له شفاعتى يوم القيامة». رواه البخارى فى صحيحه.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه. (٣) رواه الترمذى والنسائى.

(٤) رواه أحمد والترمذى فى سننه والنسائى وابن حبان.

(٥) رواه ابن حبان بسند حسن، وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة.

(٦)، (٧) رواه البيهقى فى الشعب والألبانى فى السلسلة الصحيحة.

الوضوء وفضله يوم القيامة:

الوضوء طهارة يقوم به المسلم للدخول فى الصلاة، فهو طهارة مائية تتعلق بالوجه واليدين والرأس والرجلين لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: ٦).

وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث، حتى يتوضأ»(١).

وعن فضل الوضوء قال ﷺ: «إذا توضأ العبد فمضمض، خرجت الخطايا من فيه - فمه - فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه، خرجت الخطايا من وجهه، حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه، حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه، خرجت الخطايا من رأسه، حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه.

ثم كان مشية إلى المسجد وصلاته نافلة» (زيادة فى الدرجات)(٢).

وقال أيضاً: «إن الخصلة الصالحة تكون فى الرجل، يصلح الله بها عمله كله، وطهور الرجل لصلاته يكفر الله بطهوره ذنوبه وتبقى صلاته له نافلة»(٣).

وقال أيضاً: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات».

فقالوا: بلى يا رسول الله.

قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»(٤).

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى.

(٢) رواه مالك والنسائى وابن ماجه والحاكم.

(٣) رواه أبو يعلَى والبزار والطبرانى فى الأوسط.

(٤) رواه مالك ومسلم والترمذى والنسائى.

وقال أيضاً: «إن أمتى يُدْعَوْن يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء»(١).

وفى رواية مسلم فى صحيحه قال: «أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد.

قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟

قال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُر، محجلة، بين ظهرى خيل دُهْم، بُهم، ألا يعرف خيله؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليزادن رجال عن حوضى، كما يزاد البعير الضال، أناديهم، ألا هلم، فيقال: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»(٢).

فالوضوء علامة يعرفنا بها النبى ﷺ يوم القيامة، يعرف به كل من جاء بعده ولم يره شريطة ألا نبدل دينه أو نبتدع فيه ما لم ينزله الله عز وجل، فالعبرة باتباع أوامر الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ، ولهذا يأتى أناس من أمة النبى ﷺ يوم القيامة كى يشربوا من الحوض، فتقف الملائكة حائلاً أمامه دون الوصول إلى الحوض، فيراهم الرسول ﷺ ويعرفهم من أثر الوضوء فيقول لهم: هلم إلىّ.

فتقول له الملائكة: إنهم بدلوا بعدك.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الوضوء، والغرة هى لمعة بيضاء فى جبهته والتحجيل هو بياض ونور فى قدم المتوضئ. وأصل التحجيل بياض يكون فى ثلاث قوائم الفرس.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه، وليزادن أى ليبعدن من الملائكة، وبهم أى سود وفرطهم على الحوض: أى أتقدمهم، وسحقاً أى بعداً وأول هذا الحديث «عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إنشاء الله بكم عن قريب لا حقوق وددت لو آنا قد رأينا إخواننا.

قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابى... الحديث.

أى أضافوا فى الدين بالبدعة وأنقصوا منه أيضاً وفعلوا آلاف الحيل مع من اتبع سنة النبى ﷺ وتمسك بها كما يحدث فيمن يتمسك بالسنة النبوية أو تعاليم الإسلام عموماً فى زماننا وفى كل زمان.

فيقول لهم الرسول ﷺ: سحقاً، سحقاً أى بعداً بعداً.

فيحرمون من الشرب من حوض النبى ﷺ الذى من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وتكون تلك مقدمة لعقاب من بدل الدين والسنة النبوية وأنكرها أيضاً.

فتخيل يا عبد الله هذا المشهد من هؤلاء المبدلين لدين الله وسنة رسوله ﷺ، وإياك أن تكون منهم.

وعن علامة المسلمين الذين يأتون بعد النبى ﷺ وهم من سماهم بالإخوان، التحجيل من أثر الوضوء، والتحجيل هو بياض مثل النور يكون فى أقدامهم.

قال ﷺ: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»(١).

وقال أيضاً: «أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى ما بين يدى، فأعرف أمتى من بين الأمم، ومن خلفى مثل ذلك، وعن يمينى مثل ذلك وعن شمالى مثل ذلك.

فقال الرجل: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم، فيما بين نوح إلى أمتك!.

قال: هم غُرٌّ محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم تسعى بين أيديهم ذريتهم»(٢).

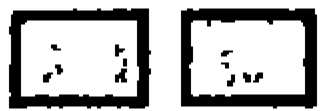
هكذا كان فضل الوضوء فى الدنيا سلاح المؤمن ومغفرة الذنوب، وفى يوم القيامة نور يعرف به النبى ﷺ أمته وينالون به شفاعته ويشربون من يده الشريفة شربة هنيئة من حوضه كما ذكر ذلك لنا صلوات ربى وسلامه عليه.

(١) رواه مسلم فى صحيحه.
(٢) رواه أحمد فى المسند بإسناد صحيح.

19

من يظلهم الله فى ظله يوم القيامة

- الإمام العادل.
- شاب نشأ فى طاعة الله.
- رجل قلبه معلق فى المساجد.
- المتحابون فى الله.
- من رفض كبيرة الزنا مخافة الله.
- المتصدق المخفى صدقته.
- من ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.



يوم لا ظل إلا ظل الله تعالى والذين يظلهم الله تعالى بظله يوم القيامة

ذكرنا أن الشمس تدنو من رؤوس العباد يوم القيامة ويفيض العرق منهم كالأنهار حتى إن الكثيرين يغرقون فى عرقهم من كثرة ذنوبهم وأعمالهم السيئة وخطاياهم فى الدنيا.

وهناك من العباد من يكونون فى أمان وطمئنينة من ذلك الهول الكبير يوم القيامة حيث يكونون فى ظل عرش الرحمن جل وعلا حين لا يكون هناك ظل إلا ظله تحت عرشه.

فمن هؤلاء الذين ينعم الله عليهم بذلك الفضل العظيم؟

ذكرهم الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وهم سبعة أصناف من البشر أنعم الله عليهم بأن يكونوا تحت ظله يوم القيامة فقال ﷺ.

«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة ربه، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتماعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق أخفى صدقته حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»(١).

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخارى فى صحيحه وفى رواية للبخارى«كتاب الزكاة».. إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله... الحديث» رقم ١٤٢٣.

وأول من يتظلل بظل الله يوم القيامة الإمام العادل، والإمام هو الحاكم والأمير والرئيس، وتلك هى الإمامة العظمى والخلافة الكبرى، وهو منصب هام فى الدولة الإسلامية، لأنه إذا صلح الإمام صلحت الرعية وإذا فسد الإمام فسدت الرعية وكثر الفساد والمفسدون فى دولته وبلاده، وأصبح عهد حكمه عهد الفساد فى كل شىء، أما إذا عدل فالخير يعم الجميع.

والرجل الثانى: شاب نشأ فى طاعة الله وعبادته، وذكر الشباب لأن الشباب فتوة وإقدام على الدنيا وملذاتها وهم كثيرو العصيان وعدم الطاعة، فإذا كان الشباب طائعاً لله عابداً له، كان يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن، وذكر أيضاً أن هذا الشاب قد نشأ فى طاعة الله منذ نعومة أظفاره، أى فى أسرة طيبة متدينة تعرف حقوق الله وتقيم أركان الإسلام.

والثالث: رجل قلبه معلق فى المساجد، أى يصلى الفروض فى أوقاتها حيث ينادَى عليها فى المساجد، فإن المساجد لله، وهى بيوت الله وحق على الله أن يكرم ضيوفه، فيكونون فى ظله يوم القيامة وذكر هنا أن ذلك الرجل هو الذى تعلق قلبه وحبه بالمساجد، ومن تعلق قلبه بشىء أحبه وأخلص له، فهذا الرجل إذا خرج من المسجد حزن لخروجه وإذا عاد إليه فرح لرجوعه، لأن قلبه الذى يحيا به معلق فى المسجد.

والرابع: رجلان تحابا فى الله أى كان حبهما لبعضهما ابتغاء مرضاة الله وطاعته فهم على منابر من نور يغبطهم النبيون.

قال ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»(١).

وقال أيضاً: إن المتحابين فى الله فى ظل العرش»(٢).

والخامس: رجل دعته امرأة فاجرة ذات منصب وجمال مثل امرأة

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وأحمد فى المسند وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه.

العزيز، لكنه لم ينصع لها ولم يلبّ رغبتها وقال لها: إنى أخاف الله أى الذى منعه عن ارتكاب الفاحشة معها هو مخافة الله عز وجل.

فكان جزاء عمله أن يظله الله بظله يوم القيامة.

فقد اقتدى هذا الرجل بيوسف عليه السلام حين راودته امرأة العزيز وهى ذات منصب وجمال عن نفسه فقال لها إنى أخاف الله.

ومثل هذا الرجل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢).

وقال ﷺ: «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى رحم لا يحل له»(١).

والسادس: رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى عن يده اليسرى ابتغاء رضوان الله.

والله يتقبل الصدقة وإن كانت قليلة شريطة أن تكون من حلال فالله طيب لا يقبل إلا طيباً، قال ﷺ:

«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا طيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل».

وقد أخبرنا ﷺ على زمان يطوف الرجل بصدقته على الناس فلا يقبلها أحد وذلك حاصل فى زمان المهدى المنتظر وعيسى ابن مريم عليه السلام حيث يعم الخير والرخاء فلا حاجة للناس بالصدقات.

قال ﷺ: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء(١).

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا وذكره ابن كثير فى التفسير جـ ٣ سورة الإسراء آية ٣٢.

(٢) متفق عليه.

وقال أيضاً: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه، فيقول الذى يعرضه عليه: لا أرب لى»(١).

وأيضاً: «تصدقوا فإنه يأتى عليكم زمان يمشى الرجل بصدقته، فلا يجد من يقبلها، يقول الرجل: لو جئت بها بالأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لى بها»(٢).

والسابع: رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خوف الله وخشيته وطمعاً فى رحمته، وفيه الحض على الذكر بعيداً عن الناس خوفاً من الرياء، وقد جاء فى الحديث القدسى عن رب العزة: قال ﷺ:

«يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه وإن تقرب إلىّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة»(٣).

وهناك نماذج أخرى من الناس يظلهم الله فى ظله يوم القيامة غير هؤلاء السبعة وردت فيهم أحاديث أخرى مثل الميسر على المعسر.

قال ﷺ: «من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله فى ظله»(٤).

وأيضاً قوله: «من نفس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة»(٥).

وبالجملة فإن الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه».

وليس أكبر من كرب الآخرة أن يجد المرء نفسه تحت وهج الشمس وحرارتها لا يقيه عنها شىء إلا ظل عرش الرحمن سبحانه وتعالى.

---

(١) متفق عليه. (٢) متفق عليه. (٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم فى صحيحه. (٥) رواه أحمد والدارمى فى سننه وإسناده صحيح.

20

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد

ـ يوم تشهد عليهم: ألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم وأبصارهم وسمعهم يوم القيامة. بما كانوا يعملون.

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد

تأتى كل نفس يوم القيامة معها سائق وهو من الملائكة يسوقه إلى الحساب والشهيد هو عمله، قال ابن عباس ﷺ إن السائق الملك والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه وبه؛ وقيل ملك يسوقه وملك يشهد عليه بأعماله وهذا هو اختيار ابن جرير رحمه الله.

ويخبرنا الحق جل وعلا بحضور الملك الموكل بعمل ابن آدم ليشهد عليه يوم القيامة وهو القرين الموكل به، قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ (ق: ٢٣).

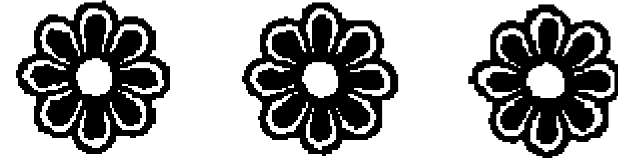
قال مجاهد هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم الذى وكلتنى به قد أحضرته. وقد اختار ابن جرير أن يعم السائق والشهيد هذا الكلام، فعند ذلك يحكم الله تعالى فى الخليقة بالعدل ويقول: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (ق: ٢٤).

وقوله ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ (ق: ٢٥، ٢٦):

أى الذى لا يؤدى ما عليه من الحقوق ولا صلة ولا صدقة، وقال قتادة «معّتد» فى منطقه وسيره وأمره ومريب أى شاك فى أمره لمن نظر فى أمره، وأشرك بالله فعبد معه غيره من الأوثان والأنداد(١).

(١) انظر تفسير ابن كثير للآية سورة ق.

قال ﷺ: يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة، بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلهاً آخر ومن قتل نفساً بغير نفس، فتنطوى عليهم فتقذفهم فى غمرات جهنم»[1].



(١) رواه أحمد فى المسند.

شهادة الألسنة والأيدى والأرجل وغيرها على الإنسان يوم القيامة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤).

وقال أيضاً: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥).

وقال أيضاً: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ١٩ - ٢٣).

إنه يوم الشهادة وصدور الأحكام التى لا تقبل النقض، ولأنها محاكمة عادلة تكون الشهود من أهم عناصر تلك المحاكمة حين ينكر المرء كعادته ما اقترفته يداه وجوارحه.

وحينئذ يأمر المولى عز وجل جوارحه بالشهادة فتنطق عليه بالحق.

ولاشك أن شهادة الجوارح تكون على الإنسان الكافر الفاجر الذى يكذب بما جاءت به صحيفته وينكر ما فعله من جرائم وذنوب وخطايا فى الدنيا

ولذلك قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ١٩، ٢٠).

فحين يساق هؤلاء المجرمون إلى النار ينكرون ما فعلوا ويجادلون كعهدهم فى الدنيا وحينئذ يشهد عليهم ثلاثة من أجسادهم:

١ - سمعهم.

٢ - أبصارهم.

٣ - جلودهم.

يشهدون عليهم بما قدموه ولا يكتمون شيئاً وحينها يسأل هؤلاء المجرمون هؤلاء الشهود وخاصة الجلود التى سوف تتعذب ويذوق من خلالها الكافر والعاصى العذاب فى جهنم فيقول لها: لِمَ شهدتم علينا؟!

فتقول الجلود لهم: أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون:

عن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسم فقال ﷺ: ألا تسألونى عن أى شىء ضحكت؟.

قالوا: يا رسول الله من أى شىء ضحكت؟

قال ﷺ: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أى ربى أليس وعدتنى لا تظلمنى؟.

قال: بلى.

فيقول: فإنى لا أقبل علىَّ شاهداً إلا من نفسى.

فيقول: الله تبارك وتعالى: أو ليس كفى بى شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين؟

قال: فيردد هذا الكلام مراراً.

قال فيختم على فيه - أى فمه - وتتكلم أركانه بما كان يعمل.

فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أجادل(١).

وهكذا يكون الإنسان المجادل عاصى الله تعالى فى الدنيا يكون فى الآخرة، يعتقد أن جداله سوف ينفعه أمامه، ويا ليته اعترف بذنبه وتقصيره أمام رب العباد، لكن النفس الأمارة بالسوء مازالت مسيطرة عليه، وتأبى إلا أن تُأخذ إلى جهنم وبئس المصير.

تخيل يومها أيها العاصى المجادل يوم القيامة وقد نطقت جوارحك بما فعلت من خطايا وذنوب، وتخيل قدميك وهما تشهدان أمام رب العباد بأنهما سعتا فى الأرض الفساد، ونطق بصرك بأنه اطلع وشاهد ونظر إلى ما يغضب الله، ولسانك وقد شهد عليك بما تكلمت من غيبة ونميمة وألفاظ فاحشة وشتائم وسب لأعراض الناس وشهادة زور وقول غير الحق والاستهزاء بعباد الله الصالحين.

وتخيل يديك وقد أنطقهما الله بما جنتا وفعلتا وامتدتا إلى الحرام من أكل أموال الناس بالباطل من رشوة وسرقة لأموال اليتامى وعباد الله واستحلالك لهذه الأموال.

وتخيل جلدك الذى سيحرق فى النار وتشعر من خلاله بألم العذاب الشديد، يشهد عليك أيضاً مما يجعلك تسأله: لماذا تشهد علىَّ وسوف تعذب معى فى النار؟

فيقول: لك لا حيلة لى فى ذلك لقد أمرنى الله عز وجل فنطقت بالحق.

لقد صدَّ الكافرون عن سبيل الله فى الدنيا، واستمع إليهم ضعاف النفوس والمنافقون من الناس، لكن يوم القيامة يرى هؤلاء الضعفاء الكبراء الذين اتبعوهم وساروا على خطاهم قد تنكروا لما قالوا ولمن اتبعهم وساعتها

(١) رواه ابن أبى حاتم ومسلم والنسائى.

يقول الكفار الضعفاء الذى اتبعوا كبراءهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت: ٢٩).

إنه تمنى لن ينفعهم تحقيقه لأنهم فى العذاب سواء وفى جهنم مثوى لهم أجمعين.

أما الذين استقاموا على أمر الله وطاعته فإنهم آمنون يوم الفزع الأكبر تبشرهم الملائكة بالجنة ورضوان الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠ ـ ٣٢).

عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال: قلت يا رسول الله حدثنى بأمر أعتصم به.

قال: قل ربى الله ثم استقم.

قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علىَّ؟

فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال: هذا[1].

وفى رواية أخرى: «قال سفيان بن عبد الله الثقفى».

يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك.

قال ﷺ: قل آمنت بالله ثم استقم... ثم ذكر تمام الحديث[2].

وأما عن شهادة الأيدى والأرجل فهى تأتى بعد أن يجادل هذا العاصى الكافر عما فعله وارتكبه واكتسبه.

والاكتساب يعنى فعل الشىء عن استحلال له أى وهو مؤمن بأن ما يفعله

(١) رواه أحمد فى المسند والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم والنسائى.

حلال وليس حراما وهذا معنى قوله تعالى:

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:).

وأما عن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥).

قال ﷺ: «إنكم تدعون مفدماً على أفواهكم بالفدام[١] فأول من يسأل عنه أحدكم فخذه وكتفه»[٢].

وقال أيضاً: « ... ثم يلقى الثالث فيقول ما أنت؟

فيقول: أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت، وتصدقت، ويثنى بخير ما استطاع..

قال: فيقال له: ألا نبعث عليك شاهدنا؟

قال: فيفكر فى نفسه من الذى يشهد عليه فيختم على فيه - فمه - ويقال لفخذه انطقى.

قال: فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذى يسخط الله تعالى عليه[٣].

هذا هو المنافق الذى استحل ما حرم الله فى الدنيا ويأتى يوم القيامة يجادل الله عز وجل ويدعى أنه صلى وصام وزكى وفعل الخيرات ويعتقد أن الله تعالى لا يعلم سرائره، فتشهد عليه جوارحه بما فى نيته ومثله الكافر، لأن المنافقين والكافرين فى الدرك الأسفل من النار ولا يخفى علينا أن المنافق يدعى الإسلام والإيمان ويبطن الكفر.

---

(١) الفدام ما يوضع على الفم يمنعه الكلام.

(٢) رواه النسائى.

(٣) جزء من حديث طويل رواه مسلم وأبو داود.

قال أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أى رب عملت، عملت، عملت.

قال: فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويسترها فلا يرى أحد من تلك الذنوب شيئاً، وتبدو حسناته فإن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه. عمله فيجحد ويقول أى رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل.

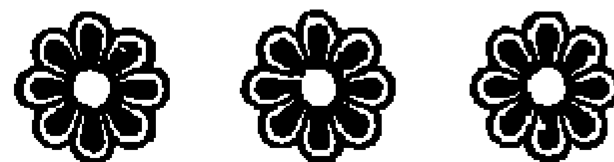
فيقول له الملك أما عملت كذا يوم كذا فى مكان كذا؟

فيقول: لا وعزتك أى رب ما عملته.

فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه - فمه -.

قال: فإنى أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى ثم تلا ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(1) (يس: ٦٥).

هكذا يكون حال المنافق والكافر ينكرون أفعالهم وذنوبهم وخطاياهم ولذلك تشهد عليهم أيديهم، وأرجلهم، بما عملوا من ذنوب ومعاص وسيئات، فى الدنيا.

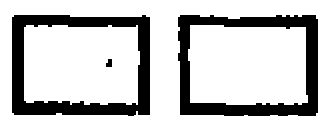


(١) رواه ابن جرير.

21

يوم تطاير الصحف

ـ من يأخذ كتابه بيمينه فقد نجا وفاز بالجنة.
ـ ومن يأخذ كتابه بشماله فقد خسر وسيق إلى النار.
ـ ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة «النجوى».
ـ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.



تطاير الصحف وتلقيها باليمين وبالشمال، كلٌّ حسب عمله

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (الحاقة: ١٣ ـ ٢٩).

تبدأ الآيات بوصف النفخ فى الصور نفخة الصعق حيث يصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله كما ذكرنا، ثم بعدها تأتى نفخة البعث والنشور، وقد حُملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة أى إنها مدت مد الأديم وتبدلت الأرض غير الأرض التى نمشى عليها فى الدنيا وقد ارتكبت عليها أفظع الجرائم ضد الإنسانية ودارت عليها الحروب والمجازر قبل أن ينفخ فى الصور نفخة الفزع والصعق.

فحينها تكون القيامة قد قامت ومن مظاهر ذلك اليوم انشقاق السماء

قال ابن عباس: متخرقة والعرش بحذائها.

والملك على أرجائها أى الملائكة فينظرون إلى أهل الأرض.

ويحمل عرش الرحمن ثمانية من الملائكة وقيل يحتمل أن يكون المراد بهذا العرش هو العرش الذى يوضع يوم القيامة للفصل والقضاء بين الخلائق.

قال ﷺ: أُذن لى أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بُعد ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير بسبعمائة عام.(١)

وقد روى عن الشعبى وعكرمة والضحاك وسعيد بن جُبَيْر وإبن جُرَيْج وغيرهم أن المراد بثمانية أى ثمانية صفوف من الملائكة وهم حملة العرش يوم القيامة.(٢)

يومها يعرض الخلق على الله عز وجل لفصل الحساب والقضاء بينهم لا يخفى منهم خافية، يعرضون على عالم السر والنجوى الذى لا يخفى عليه شىء من أمور الخلائق.

قال ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله».(٣)

وفى رواية عند إبن جرير قال ﷺ:

«يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، عرضتان معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة تطير الصحف فى الأيدى، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله».

فأما من أوتى كتابه وهو كتاب أعماله الحسنة والسيئة لكل إنسان بيده اليمنى فهو دليل النجاة والفوز برضوان الله، فيعلن عن فرحته على الخلق: ﴿هاؤم اقْرءوا كِتابِيَه﴾ (الحاقة:١٩).

أى أنه يريد أن يقرأ الناس ما فى كتابه لأنه يعلم أن الذى فيه خير وحسنات محضة.

---

(١) رواه ابن أبى حاتم وأبو داود واللفظ للأول.

(٢) انظر تفسير ابن كثير جـ٤.

(٣) رواه أحمد، وابن ماجه

فتخيل أيها المسلم وقد تطايرت الصحف وقد أخذت كتابك بيمينك، ووقفت تعلن فى أحبائك وأصدقائك وأقربائك ومن فى الموقف العظيم:﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾.

عن عبدالله بن عبدالله بن حنظلة «غسيل الملائكة».(١)

قال: إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدى أى يظهر سيئاته فى ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا؟!.

فيقول: نعم أى ربِّ.

فيقول له: إنى لم أفضحك به وإنى قد غفرت لك.

فيقول عند ذلك هاؤم اقرأوا كتابيه، إنى ظننت أنى ملاق حسابية، حين نجا من فضيحته يوم القيامة.

وقد جاء فى الحديث الصحيح أنه ﷺ قال:

« ... يدنى الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى: «إنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين».

وحين يعطى الكافر أو العاصى كتابه بشماله فيندم غاية الندم حتى إنه يقول: «يا ليتنى لم أُوت كتابيه»، بل ويتمنى الموت وكان الموت فى الدنيا أكره شىء إليه.

ولهذا جاءت الآيات بعدها ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾

(الحاقة: ٣٠ـ ٣١).

(١) حنظلة بن عامر رضي الله عنه هو الصحابى الذى استشهد فى غزوة أحد وقد غسلته الملائكة عقب استشهاده فى أرض المعركة لأنه شارك فى المعركة وهو على جنابة رضي الله عنه.

أقرأ كتابنا ١٥٠ قصة عن شهداء الصحابة، الناشر دار الكتاب العربى.

فهذا أمر إلهى للزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتضع الأغلال فى عنقه وتسوقه إلى جهنم وبئس المصير.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إذ قال الرب عز وجل خذوه فغلوه ابتدره سبعون ألفا من الزبانية يجعلون الغل ـ القيد ـ فى عنقه.

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: «يوم ندعوا كل أناس بإمامهم» قال: يدعى أحدهم فيُعطى كتابه بيمينه، ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه، فيرونه من بُعد، فيقولون: اللهم آتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم، ويقول: أبشروا لكل مسلم مثل هذا.

قال: وأما الكافر فيسود وجهه ويمد فى جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم ويلبس تاجاً من نار فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا.

قال: فيأتيهم فيقولون: اللهم اخزه.

فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا(١).

وقال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ **(الإسراء: ١٣، ١٤)**.

وقال الحسن البصرى: يقرأ الإنسان كتابه أمياً أو غير أُمِّىّ.

وقال أيضاً: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾.

(الانشقاق: ٨).

فأما من أوتى كتابه بيمينه فقد علم أنه من أهل الجنة ولذلك يفرح بكتابه ويعلنه على الناس، ويكون حسابه يسيراً.

---

(١) رواه الترمزى وقال: هذا حديث حسن غريب.

وهناك أيضاً من يأخذ كتابه من وراء ظهره فتخلع كتفه اليسرى فتجعل يده خلفه فيأخذ بها كتابه فيحول وجهه فى موضع قفاه فيقرأ كتابه، قاله مجاهد(١).

إنه يوم تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه أيضاً، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٦).

ومن صفات هذا الكتاب أنه لا يغادر كبيرة أو صغيرة فعلها الإنسان إلا أحصاها، وهذا أمر عسير على المجرمين يوم القيامة وقد صور القرآن الكريم حالهم فى قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ (الكهف: ٤٩، ٥٠).

وقد حذرنا رسولنا ﷺ من الصغائر والاستهانة بها، فإنها من المهلكات فقال:

«إنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض وحضر صنيع القوم فانطلق كل رجل منهم يحتطب فجعل الرجل يجيء بالعود والآخر بالعودين حتى جمعوا سواداً وأجَجوا ناراً فشووا خبزهم، وإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه إلا أن يغفر الله واتقوا محقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً»(٢).

ولهذا قال أهل العلم لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر من عصيت.

وقال أهل العلم: الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) التذكرة للقرطبى.

وتخيل نفسك والله عز وجل يسألك عن كل كبيرة وصغيرة فعلتها فى حياتك لم تتب منها، قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟

ـ وعن جسده فيما أبلاه؟

ـ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه[1]؟

وقال ﷺ أيضاً:

«ما من عبد يخطو خطوة إلا سُئل عنها ما أراد بها»[2].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله»[3].

وفى هذا اليوم يدنى الله المؤمن الذى تاب قبل موته من ذنوبه إليه يوم القيامة وهو ما يعرف بالنجوى، ويذكره بأنه قد تاب عليه وستر عليه فى الدنيا وأنه يغفرها له يوم القيامة، ويعطيه صحيفته بيمينه، أما الكفار الذين ماتوا على الكفر فينادى عليهم على رؤوس الخلائق بأن هؤلاء الذين كذبوا على الله ولعنهم الله.

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى قال: سمعته يقول:

«يدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟

فيقول: رَبِّ أعرف.

(١) رواه مسلم فى صحيحه والترمذى وقال حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو نعيم الحافظ وذكره القرطبى فى التذكرة.

(٣) أخرجه الطبرانى.

قال: فيقول: إنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم.

فيعطى صحيفة حسناته.

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله(١).. هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين».

اقرأ يا ابن آدم كتابك بنفسك، هكذا يأمرك الرب يوم القيامة، فتقرأ، فإذا مررت بسيئة اسود وجهك وإذا مرت عليك حسنة ابيض وجهك، ويقول الله تعالى لك: أتعرف يا عبدى.

فتقول: نعم يا رب أعرف.

وتلك السيئات التى تاب منها العبد المؤمن فى الدنيا وتاب الله عليها، إلا أنه يذكره بفضله ورحمته عليه ولا يدرى بذلك نبى مرسل أو ملك مقرب، إنه يوم النجوى والمغفرة للمؤمنين.

وأما عن كلام الله عز وجل لعباده يوم القيامة فقد أخبرنا به رسولنا ﷺ:

«ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أيسر منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»(٢).

وفى رواية البخارى: «ولو بكلمة طيبة».

قال القرطبى رحمه الله فى التذكرة:

«ما منكم من أحد» مخصوص بما ذكرناه قبل، أى ما منكم ممن لا يدخل الجنة بغير حساب من أمتى وسيكلمه الله والله أعلم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو

(١) متفق عليه والزيادة فى لفظ البخارى.

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم فى صحيحه.. وأخرجه أيضاً الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول:

- يا ابن آدم ما غرك بي، يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت، يا ابن آدم ماذا أجبت الرسل؟

يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينيك وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك.

ألم أكن رقيباً على أذنيك، وهكذا عن سائر الأعضاء.

هل يسأل الله الكافرين ويكلمهم يوم القيامة؟

قد اختلف العلماء عن كلام الله للكفار عند محاسبتهم يوم القيامة، وقد ذكرنا أن أعضاء الكافر والعاصى الذى ينكر ويكذب ما فعله من ذنوب وخطايا تنطق وتشهد عليه وفيه حديث الله عز وجل الكافر كما جاء فى الحديث النبوى الذى رواه مسلم فى صحيحه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

- كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون لم أضحك؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرنى من الظلم؟

قال: يقول بلى.

قال: فيقول فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى.

قال: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا.

قال: فيختم على فيه - فمه - فيقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله.

قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام.

قال: فيقول: بعداً لَكُنَّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل.

وفى رواية البخارى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً كنت تفتدى به؟

فيقول: نعم.

فيقال له: قد كنت سُئلت ما هو أيسر من ذلك(١).

قال ابن عباس عن سؤال الكفار يوم القيامة: لا يسألون سؤال شفاء وراحة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لِمَ عملتم كذا وكذا، والقاطع لهذا قوله تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر: ٩٢، ٩٣).

وقال ابن عباس أيضاً: إن بعد أخذ النار هؤلاء تنشر الصحف وتوضع الموازين وتدعى الخلائق للحساب.

قال القرطبى: فإن قيل فقد قال تعالى:

﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥).

وقال: ﴿وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٨).

وقال: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ١٧٤).

وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار، قلنا: القيامة مواطن: فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك فلا يتناقض الآتى من الأخبار.

قال عكرمة: القيامة مواطن يسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها.

وعن عائشة ﵂ قالت: لا يُحاسب رجل يوم القيامة إلا دخل الجنة.

قالوا: ولأن الحساب إنما يراد للثواب والجزاء ولا حسنات للكافر فيجازى عليها بحسابه، ولأن المحاسب هو الله تعالى وقد قال:

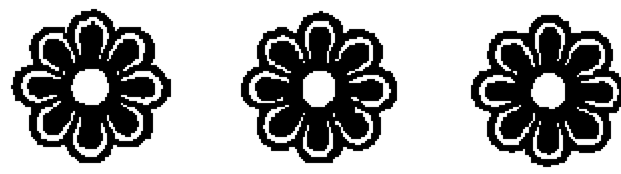
(١) وفى رواية مسلم «كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك».

﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤).

وقالوا: يسألهم عن أصل كفرهم ثم عن تجريدهم إياه وهذه الآية للكافرين:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر: ٩٢، ٩٣).

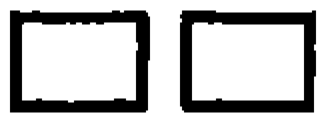
والله أعلم.



22

الحوض النبوى يوم القيامة

- العطش والحاجة إلى الماء يوم القيامة.
- وصف الحوض ومساحته.
- أول من يرد الحوض على النبى ﷺ.
- ومن هم الذين يُطرَدون عن الحوض.
- لكل نبى حوض يوم القيامة.
- للنبى ﷺ حوضان أحدهما فى الموقف يوم القيامة والآخر فى الجنة.



العطش والحاجة إلى الماء يوم القيامة
ووصف الحوض ومساحته

حين تدنو الشمس من الرؤوس يوم القيامة ويسيل العرق حتى إنه يلجم البعض ويغرقه فيه، يحتاج الناس إلى الماء، إنه عطش يوم القيامة.

فما يروى الناس يومها؟

ذهب العلماء إلى أن للنبى ﷺ يوم القيامة حوضين أحدهما قبل الصراط والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثراً. والكوثر فى كلام العرب تعنى الخير الكثير.

فالخلائق تخرج من القبور وهم عطاش، وبالتالى يكون الحوض قبل الصراط عند البعض، وهو رأى أبى حامد الغزالى والقرطبى وغيرهما.

فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم.

فقلت: إلى أين.

فقال: إلى النار والله.

قلت: ما شأنهم.

فقال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى.

ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بينى وبينهم رجل فقال لهم: هلم.

فقلت: إلى أين؟

قال: إلى النار والله.

قلت: وما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم.

فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هُمل النعم.

قال القرطبى: فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يُجاز عليه، فمن جازه سلم من النار.

وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضاً فى الموقف على ما يأتى وروى عن ابن عباس ﷺ قال سُئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدى الله تعالى هل فيه ماء قال:

«أى والذى نفسى بيده إن فيه لماء وإن أولياء الله تعالى ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله سبعين ألف ملك بأيديهم، عصىٌّ من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء.

فما هو وصف حوض النبى ﷺ؟

عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟

قال: «والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ، فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل»(١).

(١) رواه مسلم فى صحيحه، وأبلة هى مدينة العقبة الأردنية.

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أطهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله.

قال: نزلت علىَّ آنفاً سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (سورة الكوثر).

ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: يارب إنه من أمتى.

فيقال: ما تدرى ما أحدث بعدك.(١)

وفى رواية البخارى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورِق (الفضة) وريحة أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً».(٢)

قال عبيد الله فسألته فقال: قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث.

وعن مساحة الحوض يقول ﷺ: «إن الحوض أبعد من أيلة إلى عدن لهو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل وأبيض من اللبن رلآنيته أكثر من عدد النجوم، وإنى لأصد الناس كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه.

قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟.

قال: نعم، لكم سِيمَا ليست لأحد من الأمم تردون علىَّ محجَّلين من أثر الوضوء.(٣)

وفى رواية ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

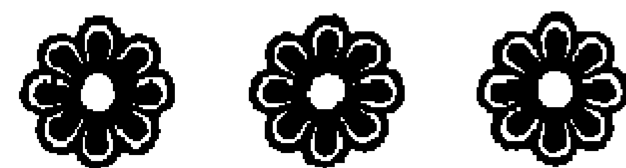
(٢) رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه .

(٣) أنظر التذكرة للقرطبى.

لى حوضاً ما بين الكعبة وبيت المقدس، أبيض مثل اللبن عدد نجوم السماء وإنى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة».

قال القرطبى فى التذكرة: ظن بعض الناس أن هذه التحديدات فى أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث النبى ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام ما بين أذرح وجربا، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن وهكذا.

وتارة أخرى يقول بالزمان فيقول: مسيرة شهر والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات مخاطبا كل قوم بالجهة التى يعرفونها، والله أعلم.



أول من يرد الحوض على النبى ﷺ ومن هم الذين يُطردون عن الحوض

ذكـــر أهـل السـنن أن أول من يـرد الحــوض على النبى ﷺ هم فــقـــراء المهاجرين ﷺ أجمعين.

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حوضى ما بين عدن إلى أيلة، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، أكاويبه ـ أكوابه ـ كعـدد نجوم السمـاء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً، وأول الناس من يرد على الحوض فقراء المهاجرين الدنس ثياباً والشُّعث رؤوساً الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد.

قال: فبكى عمر حتى ابتلت لحيته، فقال: لكنى نكحت المتنعمات وفتحت لى أبواب السدد، لا جرم (حقّاً) أنى لا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ، ولا أدهن رأسى حتى تشعث»(١).

وعن أنس ﷺ قـال: أول من يرد الحوض على رسول الله ﷺ الذابلون الناحلون السائحون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بالحزن(٢).

ولعل بكاء عمر ﷺ هو اعتقاده أنه ليس من هؤلاء الأوائل وهذا لا يعنى أنه ليس منهم بل هو منهم بإذن الله والله أعلم.

ومـا جـاء فى وصف أنس بن مـالك ﷺ عن هؤلاء الأوائل الذين يردون الحوض، إنهم الذين يقيمون الليل لله تضرعاً وخوفاً ورجاءً.

---

(١) أخرجه الترمذى. (٢) التذكرة للقرطبى.

وأما عن الذين يردون عن الحوض يومها فقد قال عنهم ﷺ:

«ليردن عليَّ ناس من أصحابى الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى فأقول أصحابى: فيقال لى: لا تدرى ما أحدثوا بعدك(١).

وفى رواية مسلم فى صحيحه عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: إنى على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم، وسيؤخذ ناس دونى فأقول: يا رب منى ومن أمتى.

فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟.

والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم.

قال أهل العلم وقد ذكر القرطبى قائلاً: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون.

وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، ثم البعد قد يكون فى حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل فى الأعمال ولم يكن فى العقائد.

وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ثم يقال لهم سحقاً وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف له الغطاء فيقول لهم: سحقاً سحقاً ولا يخلد فى النار إلا كافر جاحد مبطل ليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان(٢).

(١) رواه البخارى فى صحيحه.

(٢) التذكرة للقرطبى، وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى أسماء رواة أحاديث الحوض النبوى، وقد روى تلك الأحاديث أكثر من خمسين صحابياً.

وعلى هذا يكون قوله ﷺ: «ليردن عليَّ من أصحابى الحوض.. الحديث» يقصد بهؤلاء المنافقين الذين عاصروا النبى ﷺ وماتوا على النفاق، فيكتشف أمرهم يوم القيامة رغم آثار نور الوضوء عليهم والله أعلم.

- ويبقى سؤال: هل الحوض خاص بالنبى ﷺ يوم القيامة أم أن هناك أحواضاً أخرى:

أجاب عن هذا السؤال رسولنا ﷺ فقال: «إن لكل نبى حوضاً وأنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة»(١).

وقال البكرى المعروف بابن الواسطى: لكل نبى حوض إلا صالحاً فإن حوضه ضرع ناقته. والله تعالى أعلم(٢).

وقد ذكر أهل العلم أن للنبى ﷺ حوضين أحدهما فى أرض المحشر والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى الكوثر.

عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المجوف،، قلت: ما هذا يا جبريل!

قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فإذا طينه أو طينته مسك أذفر»(٣).

وقال أيضاً: «الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج»(٤).

نسأل الله العظيم أن نكون ممن يشربون من حوض الكوثر من يدى النبى ﷺ شربة لا نظمأ بعدها أبداً إنه ولى ذلك والقادر عليه.

---

(١) أخرجه الترمذى عن سمرة بن جندب رضي الله عنه وقال حديث حسن غريب.

(٢) التذكرة للقرطبى، وهذا أمر طبيعى حيث يسقى كل نبى أتباعه من أمته وقومه والله أعلم.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه والترمذى بنحوه ومعناه وقال: حديث حسن صحيح، وما شاهده ﷺ كان فى رحلة المعراج.

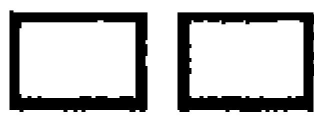
(٤) رواه الترمذى.

23

موازين القسط يوم القيامة

- ميزان العدل يوم القيامة.

- وزن أعمال العباد كلها يوم القيامة، وأثقل الأعمال كلها على الإطلاق.



ميزان العدل يوم القيامة

يظن أهل الدنيا أنهم يملكون القضاء العادل وقد كذبوا، فالعدل المطلق لا يتحقق إلا يوم القيامة، وما يحدث فى الدنيا هو مظنة العدل.

فمن أسماء الله الحسنى العدل والمقسط، ولذلك فإن أشد الناس حساباً يوم القيامة من تولى القضاء بكل أنواعه فى الدنيا وقام بالحكم بين الناس فقد جاء فى الحديث النبوى أن القضاة ثلاثة، اثنان فى النار وواحد فى الجنة(١).

وهى نسبة تخيف العقلاء من الناس الذين فقهوا الدين، ولذلك رفض الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله تولى منصب قاضى القضاة فى بغداد وكذلك فعل الكثير من فقهاء الأمة لخطورة هذا المنصب وعظم حسابه عند الله يوم القيامة.

ويوم القيامة ينصب ميزان العدل الإلهى أو بمعنى أدق موازين لكل العباد توزن عليهم أعمالهم وصحائفهم، فمن ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية، ومن خفت فهو إلى النار ذاهب لا محالة.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

فيوم القيامة لا ظلم فيه، لقد انتهى الظلم بانتهاء الدنيا وبالنفخ فى الصور.

---

(١) وقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى ثمرة قط» (رواه أبو داود الطيالسى).

نعم انتهى الظلم نهائيّاً بعد النفخ فى الصور وظهر العدل المطلق، العدل الإلهى، فالظلم صناعة بشرية، وأما اليوم فالحكم العدل المقسط يوم القيامة هو الله سبحانه وتعالى.

وموازين يوم القيامة تتسع لكل شىء مهما كان حجمه وشأنه كما وصفه النبى ﷺ:

«يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة:

- يا رب لمن يزن هذا؟

فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقى.

فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك(١).

وقد ذهب البعض من أهل العلم بأن الميزان واحد يوزن عليه أعمال العباد كلها وهو قول ابن حجر العسقلانى وغيره.

وذهب آخرون إلى أن لكل واحد ميزاناً خاصّاً به توزن عليه أعماله لظاهر الآية ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ **(الأنبياء: ٤٧)**.

وهذا ما قال به الحسن البصرى رحمه الله: إن لكل واحد من المكلفين ميزانا.

قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ * فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ **(القارعة)**.

وقالوا أيضاً إن الموازين متعددة لكل إنسان، فيكون هناك ميزان لأفعال القلوب وميزان لأفعال الجوارح، وهكذا، تتعدد الموازين للشخص الواحد، وهذا

(١) رواه الحاكم فى المستدرك وهو حديث صحيح.

معنى قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، وقيل أن الجمع هنا فى الآية جاء لكثرة من توزن أعمالهم والله أعلم.

ويتضح من آيات سورة القارعة أن الميزان يوزن عليه أعمال العباد كلهم مؤمنين وغيرهم من الكفار لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾.

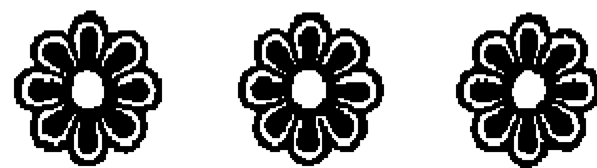
وأيضاً ما جاء فى سورة الأعراف: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ٩).

وفى سورة (المؤمنون): ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٣).

وموازين الدنيا تختل دوماً فليس هناك ميزان مطلق إلا يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٨).

وجاء ثقل الميزان[1] وفلاح أصحابه فى الآخرة أيضاً فى قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٢).

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (القارعة: ٦، ٧).



(١) جاء ذكر ثقل الميزان فى القرآن ثلاث مرات وأيضاً جاء ذكر من خفت موازينه ثلاث مرات كما ذكرنا بتلك الآيات، وجاء ذكر الميزان فى القرآن تسع مرات.

وزن أعمال العباد كلها يوم القيامة، وأثقل الأعمال كلها على الإطلاق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ

ذهب أهل العلم أن الميزان يوم القيامة هو ميزان حقيقى لا يعلم كنهه إلا الله، وأنه يوزن عليه كل أعمال العباد بالقسط فلا يُظلم أحد، ولا عبرة لوظيفة الإنسان فى الدنيا ولا حجمه ولا درجته ولا نسبه ولا عائلته، فلا أنساب يومئذ وإنما العمل الصالح الذى تقبله الله فى الدنيا.

قال ﷺ: «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥)(١).

وهكذا يشير رسولنا الكريم ﷺ أنه لا عبرة ولا وزن للوجهاء وعلية القوم الذين طغوا وظلموا العباد اتكالاً على وزنهم فى الدنيا، فيوم القيامة الوزن بالحق ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ (الأعراف: ٨).

وأما عن وزن الأعمال وأثقلها فى الميزان، فقد جاء ذكرها فيما رواه الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً مثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟

أظلمك كتبتى الحافظون؟

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه والآية فى سورة الكهف (١٠٥).

فيقول: لا يارب.

فيقول: أفلك عذر.

فقال: لا يارب.

فيقول: بل إن لك عندنا حسنةً فإنه لا ظلم عليك اليوم.

فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

فيقول: احضر وزنك.

فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات.

فيقال: أنك لا تُظلم.

قال: فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ»(١).

والظاهر من الحديث أن السجلات كانت مليئة بالسيئات لهذا العبد من أمة محمد ﷺ، ولكن شهادة التوحيد كانت طوق النجاة له يومها، فهى أثقل الأعمال وأفضلها وأفضل ما قاله النبيون أجمعون.

وقد قال ﷺ: «حين سئل عن قول لا إله إلا الله أمن الحسنات، قال: من أعظم الحسنات»(٢).

ومن أنفع الأعمال أيضاً فى الميزان يوم القيامة قضاء حوائج الناس، لقوله ﷺ: «من قضى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له»(٣).

قال القرطبى فى التذكرة: وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال تُنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل

---

(١) أخرج ابن ماجه مثله، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٢) أخرجه الترمذى. (٣) رواه الحافظ أبو نعيم وذكره القرطبى فى التذكرة.

الصيام فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبّاً بغير حساب.

وأهل البلاء الذين ذكرهم القرطبى أنهم يوفون أجورهم بغير حساب هم الذين صبروا على الابتلاء صبراً جميلاً واحتسبوا الأجر عند الله فى هذا اليوم العظيم، وقد جاء ذكرهم فى الحديث النبوى حيث قال ﷺ: «يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، فيصب عليهم الأجر صبّاً وحتى إن أهل العافية ليتمنون فى الموقف أن أجسامهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله تعالى لهم»(١).

وما جاء فى أجر أهل البلاء تصديقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

وقد أنكرت طوائف من المسلمين مثل المعتزلة الميزان بناء على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها ومن المتكلمين من يقول مثلهم.

لكن ابن عباس ﷺ قال: إن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيزنها يوم القيامة(٢).

وقال ابن عمر ﷺ: توزن صحائف الأعمال،.

وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار.

وروى عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء(١).

---

(١) أخرجه الحافظ أبو نعيم وذكره القرطبى فى تذكرته وقال هذا حديث غريب من حديث جابر الجعفى وقتادة وتفرد به قتادة عن جابر عن ابن عباس، وذكر مثله أبو الفرج بن الجوزى فى روضة المشتاق.

(٢) المصدر السابق. (٣) المصدر السابق.

لكن أهل العلم قالوا: لو حمل الميزان على ما ذكره لجاز حمل الصراط أيضاً على أنه الدين الحق مثلاً والجنة والنار على أنهما الأحزان والأفراح، وكذلك الشياطين والجن على أنها الأخلاق السيئة والملائكة على أنها القوى المحمودة، وهكذا يمكن تأويل أى شىء، وهذه الآراء فاسدة لا أساس لها.

فالميزان حق كما جاء وصفه وذكره فى القرآن والسنة النبوية وكذلك الصراط وغيرهما من الغيبيات التى يؤمن بها المؤمنون.

وقال القرطبى رحمه الله: قال علماؤنا رحمهم الله الناس فى الآخرة ثلاث طبقات.. متقون لا كبائر لهم، ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر والثالث الكفار.

فأما المتقون فإن حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم فى الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلمة ارتفاع الخالى(١).

وأما المخلطون فحسناتهم توضع فى الكفة النيرة وسيئاتهم فى الكفة المظلمة فيكون الكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار، إلا أن يغفر الله وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف(٢).

وقال: وأما الكافر فإنه يوضع كفره فى الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع فى الكفة الأخرى فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير فيأمر الله بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه.

وأما المتقون فإن صغائرهم تكفر باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلى الجنة وثواب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته فهذان الصنفان هما المذكوران فى القرآن.

---

(١) ذكر القرطبى أن للميزان كفتين الحسنات من نور والأخرى للسيئات وهى من ظلام.

(٢) سيأتى ذكر أصحاب الأعراف فى الفصول القادمة.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٦ ـ ٩).

وذكر أبو عمر فى كتاب (جامع بيان العلم) بإسناده عن حماد بن زياد عن أبى حنيفة عن حماد بن إبراهيم فى قوله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الأنبياء: ٤٧) قد يجاء بعمل الرجل فيوضع فى كفة ميزانه يوم القيامة فتخف فيجاء بشىء أمثال الغمام أو قال مثل السحاب فيوضع فى ميزانه فترجح فيقال له: أتدرى ما هذا؟

فيقول: لا!!

فيقال له: هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس(١).

وعن وهب بن منبه فى قوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وإذا أراد الله بعبد خيراً ختم له بخير، وإذا أراد الله به شرّاً خُتم له بشر عمله(٢).

قال القرطبى: هذا صحيح يدل عليه قوله ﷺ «إنما الأعمال بالخواتيم». والله أعلم.

وقال ﷺ: «من كان آخر كلامه فى الدنيا لا إله إلا الله وجبت له الجنة» رواه أبو داود.

وقال أيضاً: «ما شىء يوضع فى الميزان أثقل من خُلق حسن(٣).

وقال أيضاً: ورأيت رجلاً من أمتى قد خف ميزانه فجاء أفراطه فثقلوا ميزانه».

وأفراطه هم أطفاله الذى ماتوا قبل البلوغ فى حياته وصبر واحتسبهم عند الله تعالى فيكفرون كالفرط الذى يثقل الميزان(٤).

(١) التذكرة للقرطبى. (٢) رواه أحمد بن حنبل وذكره أبو نعيم.

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

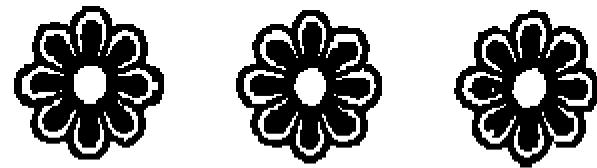
(٤) عندما يقوم بائع الفاكهة مثلاً بوضع عناقيد العنب على الميزان يحتاج لفرط العنب كى يثقل الميزان وهذا هو معنى الفرط أيضاً يوم القيامة.

ومن أراد النجاة فى هذا اليوم عليه بمحاسبة نفسه فى الدنيا وأن يكون صريحاً معها ولا يكذب عليها كما أنه يكذب على الناس، لأنه من نوقش الحساب يوم القيامة فقد عذب.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عُذب».

قالت: فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً.

فقال: ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّبَ»(١).

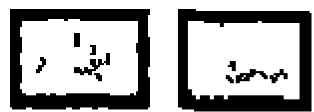


(١) رواه مسلم فى صحيحه والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

24

أصحاب الأعراف

- الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم يوم القيامة ما مصيرهم؟
- الحارث المحاسبي ووصف الميزان.



الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم يوم القيامة.. إنهم أصحاب الأعراف

يؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان فإن رجح نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق كلها: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

وإن خف نادى الملك: شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً.

وقيل إن صاحب الميزان هو جبريل عليه السلام(١).

أما من تساوت حسناته بسيئاته فإنهم أصحاب الأعراف لأنهم يقفون بين النار والجنة ينظرون إلى هؤلاء وإلى هؤلاء.

فإذا نظروا إلى أصحاب النار دعوا الله أن ينجيهم منها، وإذا نظروا إلى أصحاب الجنة تمنوا أن يكونوا من أهلها.

وقد جاء ذكر أصحاب الأعراف فى سورة من سور القرآن الكريم سميت أيضاً باسمهم وهى سورة الأعراف، وجاء ذكر أصحاب الأعراف فيها فى قوله تعالى:

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ

(١) انظر التذكرة للقرطبى جـ ٢.

يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ **(الأعراف: ٤٤ ـ ٤٩)**.

والأعراف هو السور والحجاب الذى يضربه الله بين أهل الجنة وأهل النار.

قال ابن جرير رحمه الله عنه: وهو السور الذى قال الله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ **(الحديد: ١٣)** وهو الأعراف الذى قال الله تعالى فيه ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾(١).

وقال مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب.

والأعراف جمع عرف وهو كل مرتفع عن الأرض عند العرب.

وقيل لعرف الديك لارتفاعه.

وقيل الأعراف هو الشىء المشرف.

وعن ابن عباس: قال الأعراف سور كعرف الديك.

وقال أيضاً: الأعراف جمع تل بين الجنة والنار حبس عليه أهل الذنوب بين الجنة والنار.

وروى عنه أيضاً أنه سور بين الجنة والنار.

وقال السدى وغير واحد من أهل التفسير: إنما سمى الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس.

وبالجملة فإن أصحاب الأعراف ناس تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، فلا هم من أصحاب النار ولا هم من أصحاب الجنة حتى يحكم الله فى أمرهم ويدخلهم الجنة.

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبرى وتفسير ابن كثير.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤٧).

فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربهم فقال لهم: اذهبوا فادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم(١).

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف: ٤٨، ٤٩).

قال ابن كثير رحمه الله: يقول الله تعالى إخباراً عن تقريع أهل الأعراف لرجال من المشركين وقادتهم يعرفون في النار بسيماهم: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ - أي كثرتكم - ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

أي لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب الله بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال.

وأضاف: وقال حذيفة إن أصحاب الأعراف قوم تكافئت أعمالهم، فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار، فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم.

فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة، فأتوا آدم فقالوا: يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك.

فقال: هل تعلمون أن أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمته إليه غضبه وسجدت له الملائكة غيري؟

فيقولون: لا.

فيقول: ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا ابني إبراهيم.

---

(١) تفسير ابن كثير.. وهو تفسير حذيفة ﷺ للآية.

فيأتون إبراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم.

فيقول: تعلمون من أحد اتخذه الله خليلاً هل تعلمون أن أحدا أحرقه قومه بالنار فى الله غيرى؟.

فيقولون: لا.

فيقول: ما علمت كنهه، ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا عيسى.

فيأتونه عليه السلام، فيقولون له اشفع لنا عند ربك.

فيقول: هل تعلمون أحداً خلقه الله غيرى من غير أب؟.

فيقولون: لا.

فيقول: هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله غيرى؟.

قال: فيقولون: لا.

فيقول: أنا حجيج نفسى ما علمت كنهه، ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، فيأتونى فأضرب بيدى على صدرى ثم أقول: أنا لها، ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش فآتى ربى عز وجل فيفتح لى من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط، ثم أسجد فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وسل تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّع.

فارفع رأسى فأقول: يا رب أمتى.

فيقول: هم لك.

فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب إلا غبطنى بذلك المقام، وهو المقام المحمود.

فآتى بهم الجنة فأستفتح، فيفتح لى ولهم.

فيذهب بهم إلى نهر يقال له نهر الحيوان، حافتاه قصب مكلل باللؤلؤ،

ترابه المسك وحصباؤه الياقوت، فيغتسلون منه، فتعود إليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة، فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى فى صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة(١).

وحسبما جاء فى الأثر السابق يدخل أصحاب الأعراف الجنة بشفاعة النبى ﷺ، والله أعلم.

وقال القرطبى فى التذكرة: وأما أصحاب الأعراف فيقال إنهم مساكين أهل الجنة.

وأضاف: واختلف العلماء فى تعيينهم على اثنى عشر قولاً:

الأول: ما تقدم ذكره أى أنهم مساكين أهل الجنة.

الثانى: قوم صالحون فقهاء علماء.

والثالث: هم الشهداء.

والرابع: هم فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس.

والخامس: هم المستشهدون فى سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم، فتعادل عقوقهم واستشهادهم.

والسادس: هم العباس وحمزة وعلى بن أبى طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه، ذكره الثعالبى عن ابن عباس.

والسابع: هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم فى كل أمة.

والثامن: هم قوم أنبياء.

---

(١) تفسير ابن كثير والأثر منسوب إلى حذيفة ﷺ. والله أعلم بصحته.

والتاسع: هم قوم كانت لهم صغائر لم تُكَفَّر عنهم بالآلام والمصائب فى الدنيا، فوقفوا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم غم فيقع فى مقابلة صغائرهم.

والعاشر: ما ذكره ابن عباس: أصحاب الأعراف الذين ذكر الله فى القرآن أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة.

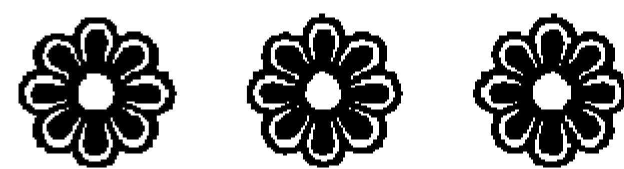
أمرهم الله فأقيموا ذلك المقام، إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم.

قال ابن عباس: أدخل الله أصحاب الأعراف الجنة.

وعن ابن مسعود: وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً الجنة.

والحادى عشر: أنهم أولاد الزنا.

الثانى عشر: أنهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار، والله أعلى وأعلم.



رؤيا من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فى المنام:

ذكر القرطبى فى تذكرته أن أحد الصالحين قال: أخذتنى ذات ليلة سِنَةٌ - أى غفوة - فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون.

فقوم يمضى بهم إلى الجنة وقوم يمضى بهم إلى النار.

قال: فأتيت إلى الجنة فناديت أهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنة فى محل الرضوان؟

فقالوا : بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان.

ثم أتيت إلى باب النار فناديت: يا أهل النار بماذا نلتم النار؟

فقالوا لى: بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن.

قال: فنظرت فإذا أنا بقوم موقوفون بين الجنة والنار، فقلت لهم: ما بالكم موقوفون بين الجنة والنار.

فقالوا لى: لنا ذنوب جلت وحسنات قلَّت، فالسيئات منعتنا من دخول الجنة والحسنات منعتنا من دخول النار وأنشدوا:

نحن قوم لنا ذنوب كبار

منعتنا من الوصول إليه

تركتنا مذبذبين حيارى

أمسكتنا من القدوم عليه

«الحارث المحاسبى»(١)
يصف الميزان وما بعده

قال الحارث المحاسبى فى كتابه التوهم:

توهم الميزان بعظمه منصوباً، وتوهم الكتب المتطايرة وقلبك واجف متوقع أين يقع كتابك فى يمينك أو فى شمالك.

عن الحسن: أن رسول الله ﷺ كان فى حجر عائشة فنعس، فتذكرت الآخرة، فبكت فسالت دموعها على خد النبى ﷺ.

فاستيقظ بدموعها فرفع رأسه، فقال: ما يبكيك يا عائشة!

فقالت: يا رسول الله تذكرت الآخرة، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟

قال: والذى نفسى بيده فى ثلاثة مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه:

- إذا وُضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل!
- وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ أم بشماله؟!
- وعند الصراط(٢).

وعن أنس بن مالك قال: يؤتى بابن آدم حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان

(١) الحارث بن أسد المحاسبى من علماء القرن الثانى والثالث الهجرى توفى سنة ٢٤٣ هـ.

(٢) رواه أبو داود دون ذكر كون رأسه فى حجرها وأنه نعس.

ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق: شقى فلان ابن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً(١).

فبينا أنت واقف مع الخلائق، إذ نظرت إلى الملك، وقد أمر أن يحضر الزبانية، فأقبلوا بأيديهم مقامع من حديد. عليهم ثياب من النار، فلما رأيتهم فهبتهم طار قلبك فزعاً ورعباً.

فبينا أنت كذلك إذ نودى باسمك، فنوديت على رؤوس الخلائق الأولين والآخرين: أين فلان ابن فلان؟.

هلم إلى العرض على الله عز وجل، وقد وكل الملائكة بأخذك حتى يقربوك إلى ربك، فلم يمنعها اشتباه الأسماء باسمك أن تعرفك، لما ترى بك أنك المراد بالدعاء المطلوب.

قال: قال عطاء بن رباح: «يا طلحة ما أكثر الأسماء على اسمك، وما أكثر الأسماء على اسمى، فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان، فقام الذى يعنى لا يقوم غيره لما لزم قلبك من العلم فوثبت على قدميك، ترتعد فرائصك، وتضطرب جوارحك، متغيراً لونك، فزعاً مرعوباً، مرتكضاً قلبك فى صدرك بالخفقان.

فلما عاينتك الملائكة الموكلون بأخذك، قد جل بك الاضطراب والارتعاد والمخافة. علمت أنك أنت المراد من العباد، فأهوت إليك بأيديها، فقبضت عليك بعنفها، ثم جذبتك إلى ربك عز وجل، كما تجذب الدواب المنقادة.

تتخطى بك الصفوف محثوثاً إلى العرض على الله عز وجل والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت مجبوذ إلى ربك عز وجل فيما بينهم.

---

(١) رواه البيهقى، قال الألبانى فى تحقيق أحاديث شرح العقيدة الطحاوية إنه حديث موضوع ورواه أبو نعيم فى الحلية وقال: تفرد به داود بن المحبر وهو متروك متهم بالوضع.

25

قبل الصراط

- القناطر قبل الصراط.. سبع قناطر يجوزها الناس.
- السور الذى يضرب بين المؤمنين والمنافقين قبل ضرب الصراط.
- يوم يكشف عن ساق ويدعون للسجود.

القناطر السبعة قبل الصراط عند أهل العلم

الصراط هو الطريق وسيأتى الكلام بإذن الله عنه فى حينه، وقيل قبل أن يصل الناس إلى الصراط الذى قد وضع على جهنم للمرور عليه يمر الناس على سبعة قناطر قبله.

وقد تكلم عن تلك القناطر أهل العلم كما ذكر ذلك القرطبى فقال.

روى عن بعض أهل العلم أنه قال: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل فى سبع قناطر.

فأما القنطرة الأول: فيسأل عن الإيمان بالله، وهى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها مخلصاً، والإخلاص قول وعمل جاز.

ثم يُسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز.

ثم يُسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء به تامّاً جاز.

ثم يُسأل على القنطرة الرابعة: عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز.

ثم يُسأل فى الخامسة عن الحج والعمرة فإن جاء بهما تامين جاز.

ثم يُسأل فى القنطرة السادسة عن الغسل والوضوء فإن جاء بهما تامين جاز.

ثم يُسأل فى السابعة وليس فى القناطر أصعب منها فيسأل عن ظُلامات الناس(1).

---

(1) انظر التذكرة للقرطبى.

وهذا اجتهاد من أهل العلم فى فهم أهوال يوم القيامة، ولذلك يرون أن تلك القناطر مواقف يتم تصفية الناس فيها قبل بلوغ الصراط الذى هو أهم اختبار فى ذلك الموقف العظيم.

وعلى هذا فإن الصراط لا يمر عليه إلا المسلمون فقط دون المشركين الذين قد سقطوا فى جهنم قبل الوصول إلى الصراط.

عن عائشة ﵂ قالت: سُئل الرسول ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟

فقال: هم فى الظُّلمة دون الجسر(١).

فيرى أهل العلم أن ذلك يحدث عندما يؤخذ بالكافرين والمشركين والمنافقين إلى النار، ولا يبقى على أرض المحشر إلا أتباع الأنبياء والرسل من الأمم السابقة إلى الأمة الخاتمة أمة النبى ﷺ، فتلقى عليهم الظلمة قبل الجسر والجواز على الصراط.

فالصراط يأتى فى المرحلة الأخيرة للمؤمنين بعد أن يفرق بينهم وبين المنافقين والكفار.

عن الحسن قال: سمعت أبا موسى الأشعرى ﵁ يقول: قال رسول الله ﷺ:

«يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً، دخل الجنة، ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار(٢).

وجاء فى كتاب شرح العقيدة الطحاوية أن الصراط جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التى دون الصراط كما جاء فى حديث عائشة ﵂ الذى ذكرناه.

وفى هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

(٢) رواه أحمد والترمذى وأبو بكر بن أبى الدنيا وقال الألبانى: ضعيف لأن الحسن البصرى مدلس وقد عنعنه وهذه علة. انظر تعليقه وتخريجه لكتاب شرح العقيدة الطحاوية.

السور الذى يضرب بين المؤمنين والمنافقين وذلك قبل الصراط

بعد أن ينتهى الحساب ويتضح من هو المنافق ومن هو الكافر ومن هو المؤمن وقد عرضت الصحف، يضرب بسور بين هؤلاء باطنه فيه الرحمة وظاهره العذاب، وهذا هو الخلاص الذى يتم قبل مرور المؤمنين على الصراط.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨).

وقال أيضاً: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد: ١٢ ـ ١٥).

وقد قال ابن رجب الحنبلى رحمه الله: إن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا شريك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون فى النار قبل وضع الصراط»(١).

(١) انظر كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلى.

ومن هذا كله يرى العلماء أن قبل ضرب الصراط ليمر عليه المؤمنون تتبع كل أمة من الأمم ما كانت تعبد من دون الله.

قال ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد، فيتمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون...»(١).

وقال أيضاً لأناس قالوا له: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة.

فقال ﷺ: هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر؟

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: فهل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟

قالوا: لا.

قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة، فيها منافقوها، فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفونه، فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون.

فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربنا.

فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم: سلم سلم، وفى

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه.

جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان.

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازَى حتى ينجى...»(١).

قال تعالى:

﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٣٠).

وقال ﷺ: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعه، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحد»(٢).

وهذا معنى قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (القلم: ٤٢، ٤٣).

عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة(٣).

وقال مجاهد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ .

قال: شدة الأمر وجده.

(١) رواه مسلم فى صحيحه؛ والسعدان نبت كثير الشوك شوكة كالخطاطيف ترعاه الإبل فيطيب لبنها، والموبق المهلك والمجازى الذى جوزى بعمله.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخارى وروى أيضاً فى غير الصحيحين.

(٣) رواه ابن جرير وذكره ابن كثير فى التفسير جـ ٤.

وقال ﷺ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.

يعنى عن نور عظيم يخرون له سجداً»[1].

قال ابن كثير فى تفسيره: ولما دعوا إلى السجود فى الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه فى الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحدا كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه عكس السجود كما كانوا فى الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون.

قال أبو حامد الغزالى[2]:

ثم يكشف الجليل عن ساقه فيسجد الناس كلهم تعظيماً له وتواضعاً إلا الكفار الذين قد أشركوا به أيام حياتهم وعبدة الحجارة والخشب وما لم ينزل به الله تعالى سلطاناً فإن صياصى أصلابهم تعود حديداً فلا يقدرون على السجود وهو قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (القلم: ٤٢).

وقد ذهب البعض ومنهم الخطابى أن الساق تعنى النفس وذكر قول على رضي الله عنه حين راجعه أصحابه فى قتل الخوارج: واللّه لأقاتلنهم حتى ولو تلفت ساقى» يريد نفسه.

وذكر قول أبى سليمان أنه يحتمل أن يكون المراد بكشف الساق هو التجلى وكشف الحجب عن أبصارهم حتى إذا رأوه سجدوا له.

وقد رجح القرطبى القول الأخير فقال: هذا القول ـ أى تجلى اللّه لعباده ـ أحسن الأقوال إن شاء اللّه وقد جاء فيه حديث حسن ذكره أبو الليث

---

(١) رواه أبو يعلى وفى سنده ضعف.

(٢) انظر كتاب كشف علوم الآخرة للغزالى.

السمرقندى فى تفسير سورة القلم، فقال: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا ابن منيع قال: حدثنا هدبة.

قال: حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة عن بردة بن أبى موسى قال حدثنى أبى قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إذا كان يوم القيامة مُثِّل لكل قوم ما كانوا يعبدون فى الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب الناس؟

فيقولون: إن لنا ربّاً كنا نعبده فى الدنيا ولم نره.

قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟

فيقولون: نعم.

فقال: فكيف تعرفونه ولم تروه؟

قالوا: إنه لا شبيه له.

فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجداً وتبقى أقوام ظهورهم مثل صياصى البقر، فيريدون السجود فلا يستطيعون، فذلك قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (القلم: ٤٢).

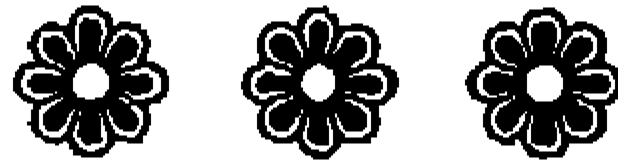
فيقول الله تعالى: عبادى ارفعوا رؤوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم من اليهود والنصارى فى النار(١).

قال أبو بردة: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز ـ الخليفة الأموى الراشد ـ فقال: الله الذى لا إله إلا هو، فحدثك أبوك بهذا الحديث.

(١) التذكرة للقرطبى.

فخلفت له ثلاث أيمان فقال عمر: ما سمعت من أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلىَّ من هذا[1].

وقال القرطبى: فهذا الحديث يبين لك معنى كشف الساق وأنه عبارة عن رؤيته سبحانه، وهو معنى ما فى صحيح مسلم، والحديث يفسر بعضه بعضاً فلا إشكال فيه والحمد لله. والله أعلم.



(١) المصدر السابق.

26

الصراط والطريق إلى الجنة

- طريق المؤمنين إلى الجنة يوم القيامة على الصراط.
- الصراط يوم القيامة صراطان.



الصراط طريق المؤمنين إلى الجنة

الصراط.. هو الطريق المؤدى بالمؤمنين إلى جنات النعيم.

والصراط فى اللغة يعنى الطريق الواضح وفى الشرع الجسر الممدود على جهنم يوم القيامة، فهو قنطرة بين الجنة والنار، من جازه نجا بفضل الله.

وقالوا: إن الصراط أَحَدٌّ من السيف، ذكر ابن المبارك قال: حدثنا هشام ابن حسان عن موسى عن أنس عن عبيد بن عمير: «أن الصراط مثل السيف على جسر جهنم وإن لجنبتيه كلاليب وحسكا، والذى نفسى بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر(١).

وعن سعيد بن أبى هلال قال: بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض الناس مثل الوادى الواسع»(٢).

وعن أبى سعيد الخدرى ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوضع الصراط بين ظهرانى جهنم على حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوج به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها»(٣).

وقال أبو سعيد الخدرى: بلغنى أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف». وفى رواية لمسلم «أرق من الشعر».

وذكر أبو حامد الغزالى فى كتابه كشف علوم الآخرة: إنه إذا لم يبق فى الموقف إلا المؤمنون والمسلمون والمحسنون والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون ليس فيهم مرتاب ولا منافق ولا زنديق فيقول الله تعالى:

---

(١) التذكرة للقرطبى. (٢) المصدر السابق. (٣) رواه ابن ماجه.

يا أهل الموقف من ربكم؟

فيقولون: الله.

فيقول لهم: أتعرفونه؟

فيقولون: نعم.

فيتجلى لهم ملك عن يسار العرش، لو جعلت البحار السبع فى نقرة إبهامه لما ظهرت، فيقول لهم بأمر الله: أنا ربكم.

فيقولون: نعوذ بالله منك.

فيتجلى لهم ملك العرش عن يمين العرش لو جعلت البحار الأربعة عشر فى نقرة إبهامه لما ظهرت، فيقول لهم: أنا ربكم.

فيقولون: نعوذ بالله منك.

فيتجلى لهم الرب سبحانه فى صورته التى كانوا يعرفونها، وسمعوا وهو يضحك فيسجدون له جميعهم فيقول: أهلاً بكم.

ثم ينطلق بهم سبحانه إلى الجنة فيتبعونه فيمر بهم إلى الصراط، والناس أفواج:

المرسلون، ثم النبيون ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم المؤمنون ثم العارفون، ثم المسلمون.

منهم المكبوب لوجهه ومنهم المحبوس فى الأعراف ومنهم قوم قصروا عن إتمام الإيمان فمنهم من يجوز الصراط على مائة عام وآخر يجوز على ألف، ومع ذلك كله لن تحرق النار من رأى ربه عياناً لا يضام فى رؤيته.

وذكر مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة: «فيأتون محمداً ﷺ، فيؤذن لهم وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق الخاطف».

قال ابن العز الحنفى فى شرح العقيدة الطحاوية: والصراط هو جسر

على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التى دون الصراط، كما قالت عائشة ﵂: إن رسول الله ﷺ سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟.

فقال: هم فى الظلمة دون الجسر»(١).

وفى هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

وروى البيهقى بسنده، عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة» إلى أن قال: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضئ مرة ويُطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفئ قام.

قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دَحْضٌ، مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كشد الرَّجل، يرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم.

حتى يمر الذى نوره على إبهام قدمه، تخرُّ يدٌ، وتعلقُ يَدٌ، وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون فإذا خلصوا قالوا: الحمدُ لله الذى نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدا.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم: ٧١، ٧٢).

اختلف أهل التفسير فى المراد بالورود فقال ابن كثير رحمه الله فى التفسير عن أبى سُمَيَّة قال: اختلفنا فى الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن،

(١) رواه مسلم فى صحيحه.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية والأثر صحيح أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

وقال بعضهم يدخلونها جميعاً ثم ينجى الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له إنا اختلفنا فى الورود فقال يردونها جميعاً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الورود الدخول.

فقال نافع: لا.

فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨). وردوا أم لا؟

وقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود: ٩٨).، أوردها أم لا، أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل تخرج أم لا، وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك.

فخضع نافع[١].

وقال ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تَحِلَّة القسم»[٢].

ونحلة القسم يعنى الورود.

قال قتادة رحمه الله: قوله «وإن منكم إلا واردها». هو الممر عليها.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين أن يدخلوها[٣].

فالورد نوعان، أحدهما ورد أهل التوحيد وهو كالبرق والآخر ورد أهل الكفر والنفاق وهو الدخول فى النار. فالصراط هو طريق المؤمنين إلى جهنم لقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: ٥، ٦).

وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده لا يلج أحد بايع تحت الشجرة، قالت

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ سورة مريم، ونافع بن الأزرق هو أبو راشد الحرورى من التابعين.

(٢) متفق عليه. (٣) تفسير ابن كثير جـ ٣.

حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: «وإن منكم إلا واردها»(١).

فقال: ألم تسمعيه قال: «ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا»(٢).

وفى رواية أحمد فى المسند عن حفصة ﵂ قال: قالت رسول الله ﷺ: أنى لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدراً والحديبية.

قالت: فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ **(مريم: ٧١)**.

قالت: فسمعته يقول: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

(مريم: ٧٢).

وقال ابن جُرَيْج وقوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

(مريم: ٧٢).

أى إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوى المعاصى بحسبهم نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التى كانت فى الدنيا، ثم يشفعون فى أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهى مواضع السجود.

وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما فى قلوبهم من الإيمان فيخرجون أولاً من كان فى قلبه مثقال دينار من إيمان ثم الذى يليه ثم الذى يليه ثم الذى يليه حتى يخرجون من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان.

ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر لا إله إلا الله وإن لم يعمل خيراً قط ولا يبقى فى النار إلا من وجب عليه الخلود(٣).

(١)، (٢) سورة مريم ٧١ ـ ٧٢، والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ﵄ هى إحدى أمهات المؤمنين.

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣.

فسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

لقد كان علماء هذه الأمة من السلف الصالح يشفقون من أهوال ذلك اليوم الآخر وخاصة لحظة المرور وجواز الصراط، وقد علموا أنهم سوف يمرون على النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾، فقد كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول: ليت أمى لم تلدنى، فتقول له امرأته: يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام.

فيقول لها: أجل ولكن الله قد بين لنا أنَّا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون.

وعن الحسن قال: قال رجل لأخيه: أى يا أخى هل أتاك وارد النار؟

قال: نعم.

قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟

قال: لا.

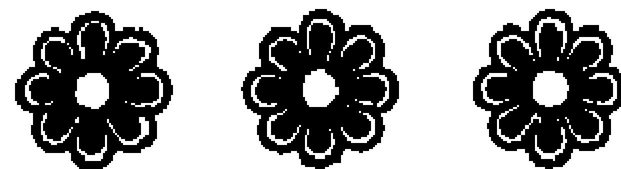
قال: ففيم الضحك إذاً؟

فما رُئى ضاحكاً حتى مات(١).

وقال ﷺ: شعار المؤمنين على الصراط رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ(٢).

وفى صحيح مسلم:

«ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سَلِّمْ سَلِّمْ.



---

(١) التذكرة للقرطبى.

(٢) رواه الترمذى وقال: حديث غريب.

الصراط يوم القيامة صراطان، الأول يمر عليه الناس كلهم، والثانى يمر عليه المؤمنون إلى الجنة

قال القرطبى رحمه الله: اعلم - رحمك الله - أن فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذى ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا على آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذى يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه(١).

ومن هذا الكلام يتضح لنا أن هناك صراطين يوم القيامة أحدهما للناس كافة وهو على متن جهنم يسقط فيه أهل الكفر والنفاق والعصاة من المسلمين الذين غلبت سيئاتهم حسناتهم إلى حين، ثم صراط آخر إلى الجنة يجوزه من تبقى من الناس وهم المؤمنون.

استند هذا الرأى لقوله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هُذبوا ونُقوا أذن لهم فى دخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا»(٢).

---

(١) التذكرة للقرطبى.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

هكذا سوف يهدى الله المؤمنين إلى منزلهم فى الجنة، فيعرفونها أكثر ما يعرفون بيوتهم التى تركوها فى الدنيا.

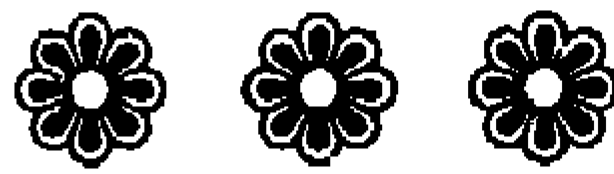
قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾

(محمد: ٥، ٦).

واستدل القرطبى بقوله ﷺ «يخلص المؤمنون من النار» أى أنهم يخلصون من الصراط المضروب على النار.

واستدل من الحديث أيضاً أن المؤمنين فى الآخرة مختلفو الحال، وأنهم إذا خلصوا من الصراط الأول حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار للقصاص بعضهم من بعض من مظالم كانت بينهم فى الدنيا.

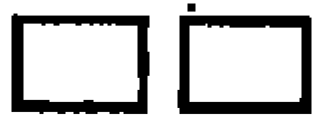
وأما من سقط من النار من المسلمين بسبب معاصيهم وذنوبهم الكثيرة يخرج منها بإذن الله بالشفاعة كما سيأتى بيانه، والله تعالى أعلم.



27

الشفاعة يوم القيامة مسك الختام

- الشفاعة: معناها وأنواعها وذكرها فى القرآن والسنة النبوية.
- الشفعاء يوم القيامة لمن دخل النار.
- الأنبياء والصالحون والشهداء والقرآن والصيام والصلاة شفعاء يوم القيامة.
- العمل الصالح والعمل السيء يوم القيامة.



الشفاعة معناها وأنواعها يوم القيامة

الشــفع الـزوج من الإنســان والرقم، وهو عـكس الوتّـر، فـالله تعـالى وتّر والإنسـان وغيـره شـفـع، فـالسمـاء والأرض والبـحـر والجن والإنس وكل شىء دون الله شفع.

وطلب الشفاعة أى الاستغاثة بالآخر لنيل مطلب أو أمر من شخص آخر.

وجاء ذكـر الشفاعـة بتنوعها فى القرآن الكريم من الفعل يشفع ويشفعون والمفرد شفيع، والجمع شفعاء وغير ذلك كثير.

وكذلك كلمة شفـاعـة قد ذكرت فى نحو إحدى عشرة آية من كتاب الله عز وجل:

١ ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨).

٢ ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ١٢٣).

٣ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

٤ ـ ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (النساء: ٨٥).

٥ ـ ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم: ٨٧).

٦ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ (طه: ١٠٩).

٧ ـ ﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سبأ: ٢٣).

٨ ـ ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الزمر: ٤٤).

٩ ـ ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٦).

١٠ ـ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٨).

١١ ـ ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ﴾ (يس: ٢٣).

والكفار والعصاة يسألون غيرهم عن الشفاعة لهم ويطلبونها كما يطلبون الماء والطعام يومها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ (الأعراف: ٥٣).

وهناك من الناس من لا تنفعهم شفاعة أحد من العالمين وهم المخلدون في النار.

قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٨).

فالشفاعة لا تكون إلا بإذن الله عز وجل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٣).

وقوله أيضاً: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ٥١).

وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

وقد أنكر البعض الشفاعة يوم القيامة جهلاً منهم لآيات الله بعد أن أنكروا أحاديث الشفاعة الصحيحة لأنها ببساطة لم تفهمها عقولهم!!

وقد قال قتادة عن الحسن البصرى إن الشفع والوتر هو العدد منه شفع ومنه وتر.

وقد أوضحت السنة النبوية الصحيحة أن الشفاعة أنواعٌ منها:

الشفاعة العظمى للنبى ﷺ وهى تعم الخلاق أجمعين حيث يلجأون إليه ليشفع إلى ربه كى يخلصهم من أهوال اليوم العظيم ويبدأ الحساب بينهم كما سيأتى ذكرها إن شاء الله.

ومنها الشفاعة الخاصة لأمته الموحدين الذين غلبت ذنوبهم حسناتهم.

وهناك شفاعة تخص من تساوت حسناتهم مع سيآتهم وهم أصحاب الأعراف الذين ذكرناهم.

وهناك شفاعة نبوية خاصة لأبى طالب عم النبى ﷺ حتى يكون أخف أهل النار عذاباً، فيخرجه الله إلى ضحضاح من نار يغطى قدميه ويغلى لهما دماغه كما جاء ذكر ذلك فى الحديث الصحيح.

وهناك شفاعات أخرى يشفع فيها النبيون والشهداء والصالحون، وشفاعة القرآن والصيام والصلاة لأصحابهم.

قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وهناك شفاعات مرفوضة مثل شفاعة الخليل إبراهيم عليه السلام لوالده الكافر آزر كما جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه.

قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر فى يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصنى؟

فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك.

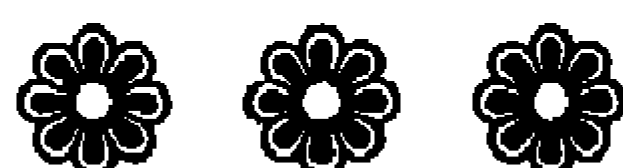
فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون. فأى خزى أخزى من أبى الأبعد؟

فيقول الله تعالى: إنى حرمت الجنة على الكافرين.

ثم يقال لإبراهيم: ما تحت قدميك؟

فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار(١).

فالقاعدة يوم القيامة والأمر الإلهى أن الجنة حرمت تحريماً نهائيّاً على الكافرين.



(١) رواه البخارى فى صحيحه.

الشفاعة فى السنة النبوية

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل نبى سأل سؤالاً أو قال: لكل نبى دعوة دعاها لأمته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة»(١).

وقال أيضاً: لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً»(٢).

وقال أيضاً: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»(٣).

فالشفاعة النبوية هى الدعوة المستجابة التى خبأها رسولنا ﷺ لأمته يوم القيامة، وكما جاء فى رواية الترمذى وأبى داود أنها شفاعة لأهل الكبائر من الأمة، الذين ماتوا على التوحيد، كما جاء فى رواية البخارى ومسلم فى صحيحهما «فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً».

فهى شفاعة عامة لأمته وخاصة لأهل الكبائر منهم إن شاء الله تعالى.

ومن أحاديث الشفاعة التى رويت عن النبى ﷺ:

ما رواه الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن معبد بن هلال

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه، وعند مسلم أيضاً فى صحيحه: «لكل نبى دعوة دعا بها فى أمته، وخبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة».

(٣) رواه الترمذى وأبو داود.

العنزى قال: «انطلقنا إلى أنس بن مالك، وتشفعنا بثابت، فانتهينا إليه وهو يصلى الضحى، فاستأذن لنا ثابت، فدخلت عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال له:

- يا أبا حمزة، إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة.

فقال - أى أنس بن مالك رضي الله عنه - حدثنا محمد ﷺ: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لذريتك.

فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الله.

فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله.

فيؤتى موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته.

فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد.

فأُوتى فأقول: أنا لها، ثم أنطلق فأستأذن على ربى، فيؤذن لى، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها، ثم أخر لربنا ساجداً، فيقول:

- يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع.

فأقول: يا رب أمتى أمتى.

فيقول: انطلق، فمن كان فى قلبه مثال حبة من بُرَّةٍ أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل.

ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لى: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسْمَعٌ لك، وسل تُعْطَهْ، واشفع تشفع.

فأقول: يا رب أمتى أمتى.

فيقول: انطلق، فمن كان فى قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه منها.

فأنطلق فأفعل.

ثم أعود إلى ربى أحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لى: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع.

فأقول: يا رب، أمتى أمتى.

فيقال لى: انطلق، فمن كان فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار.

فأنطلق فأفعل.

قال: ثم أرجع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لى: يا محمد، ارفع رأسك وقُلْ يُسْمَعْ لك، وسل تعطه، واشفع تشفع.

فأقول: يا رب ائذن لى فيمن قال: لا إله إلا الله.

قال: فليس ذلك لك.

أو قال: ليس ذلك إليك، ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله(١).

وفى رواية أخرى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أُتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟

يجمع الله تعالى الناس الأولين والآخرين فى صعيد واحد، يُسمعهم الدَّاعى، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقونه، ولا يحتملون.

فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟

ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟

(١) متفق عليه.

فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم.

فيأتون آدم ﷺ، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا.

فيقول آدم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح! إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه.

فيقول: إن ربى عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه.

فيقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذباتٍ، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، أذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه.

فيقول: إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد قتلت نفساً لم أُومَرّ بقتلها، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد صبيّاً، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه.

فيقول عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد رسول الله ﷺ.

فيأتون محمد ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه.

فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى عز وجل، ثم يفتح الله علىَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ.

فارفع رأسى فأقول: أمتى يا رب، أمتى يا رب.

فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.

ثم قال: والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْيَر أو كما بين مكة وبصرى.

وفى رواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

فقال: فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون: أنت أبونا آدم، فاشفع لنا إلى ربك.

فيقول: إنى أذنبت ذنباً فأُهبطت به إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً.

فيقول - أى نوح - إنى دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقول: إنى كذبت ثلاث كذبات.

ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا ماحل بها عن دين الله(١).

ولكن ائتوا موسى.

فيقول ـ أى موسى ـ: قد قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسى.

فيأتون عيسى، فيقول: إنى عُبدت من دون الله، ولكن ائتوا محمداً ﷺ.

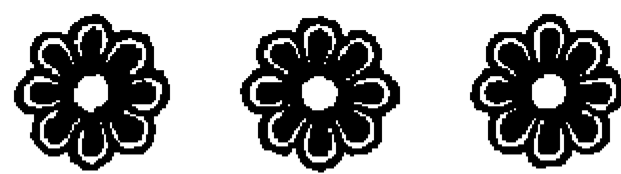
فأنطلق معهم. قال الراوى: قال أنس: فكأنى انظر إلى رسول الله يقول فآخذ بحلقة باب الجنة، فأقعقعها، فيقال: من هذا؟

فيقال: محمد.

فيفتحون لى ويرحبون، فيقولون: مرحباً.

فأخر ساجداً، فيلهمنى الله من الثناء والحمد، فيقال لى: ارفع رأسك، سل تُعط، واشفع تشفع، وقل يُسْمَعْ لقولك، وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى:

﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٢) (الإسراء: ٧٩).



---

(١) أى جادل بها عن دين الله.

(٢) أخرجه الترمذى فى التفسير وقال: حديث حسن.

الشفعاء يوم القيامة لمن دخل النار

هناك شفاعة أخرى غير شفاعة النبى ﷺ يجعلها الله عز وجل للأنبياء والعلماء والشهداء وللقرآن والصلاة والأعمال الصالحة.

قال ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يشفع نبيكم رابع أربعة: جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم ﷺ ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم فى جهنم فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٢ ـ ٤٨).

قال ابن مسعود: فهؤلاء الذين يبقون فى جهنم(٢).

فهؤلاء الذين حق عليهم العذاب والخلود فى النار ولا تنفعهم شفاعة الشافعين لتلك الأسباب التى ذكر الحق جل وعلا على لسانهم يوم القيامة:

كانوا يخوضون كما يخوض الناس فى الكفر وعدم الطاعة ولم يكونوا من المصلين لله لأنهم لا يؤمنون به وكانوا بالتالى يكذبون بيوم القيامة حتى أتاهم اليقين الذى هو الموت فماتوا على الكفر والعياذ بالله.

وهذه الآيات تدل على وجود أكثر من شافع يشفع لغيره يوم القيامة.

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمتى من

(١) رواه ابن ماجه فى سننه.
(٢) التذكرة للقرطبى، والبيهقى.

يشفع للفئام - الجماعة - ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة»(١).

وفى مسند البزار عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة».

وذكر القاضى عياض رحمه الله فى كتابه «الشفا» أن لكل رجل من الصحابة رضي الله عنهم شفاعة.

وذكر ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «يكون فى أمتى رجل يقال له: صلة بن أشيم يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا».

وهناك سور من القرآن تشفع وتحاج عن صاحبها أى من يكثر قراءتها مثل سورة البقرة وآل عمران؛ وجاء فى الحديث النبوى الصحيح أن الصيام والصلاة يشفعان.

قال ﷺ: «تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفنى؟

فيقول: ما أعرفك.

فيقول أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنك اليوم من وراء تجارة.

فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والده حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا.

فيقولان: بما كسينا هذا؟

(١) أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن.

فيقال: بأخذ ولدكما القرآن.

ثم يقال: اقرأ واصعد فى دَرج الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ»(١).

وللحديث شواهد لبعضه أيضاً فى مسند أحمد عن أبى أمامة الباهلى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة، اقرؤا الزهراوان البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان طير صواف يحاجان عن أهلهما يوم القيامة».

وقال أيضاً: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران»(٢).

وقال ﷺ عن فضل الصيام والقرآن وشفاعتهما للعبد يوم القيامة:

«إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام: رب منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار، فشفعنى فيه.

ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعنى فيه.

فَيُشَفَّعان(٣).

---

(١) رواه أحمد فى المسند، وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بعضه وإسناده حسن على شرط مسلم وقال النسائى مابه بأس.

(٢) رواه أحمد فى المسند عن النواس بن سمعان الكلابى وأضاف: «وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما».

ورواه مسلم عن إسحق بن منصور عن يزيد بن عبد ربه به وأيضاً رواه الترمذى وقال حسن غريب.

ومما جاء فى فضل سورة البقرة قوله ﷺ: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة».

رواه أحمد فى المسند والبطلة هم السحرة.

وجاء فى فضلها أن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ثلاث ليال.

(٣) رواه ابن المبارك بسنده عن عمرو بن العاص ونقله عنه القرطبى فى التذكرة.

قال القرطبى فى التذكرة: وكذلك يخلق الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين فيشفعان له، وكذلك إن شاء الله سائر الأعمال الصالحة كما ذكره ابن المبارك فى رقائقه، أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم قال بلغنى أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة فى أحسن صورة وأحسن ما خلق الله وجهاً وثياباً وأطيبه ريحاً فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شىء أَمَّنَه، وكلما تخوف شيئاً هون عليه، فيقول له جزاك الله من صاحب خيراً من أنت؟

فيقول: أما تعرفنى وقد صحبتك فى قبرك وفى دنياك أنا عملك كان والله حسناً، فلذلك ترانى حسناً وكان طيباً فلذلك ترانى طيباً، تعالى فاركبنى فطالما ركبتك فى الدنيا وهو قوله تعالى:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾ (الزمر: ٦١).

حتى يأتى به إلى ربه عز وجل، فيقول: يا رب إن كل صاحب عمل قد أصاب فى عمله وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب فى تجارته غير صاحبى هذا قد شغل فىَّ نفسه.

فيقول الله تعالى: فما تسأل؟

فيقول: المغفرة والرحمة أو نحو هذا.

فيقول: فإنى قد غفرت له.

ثم يُكْسَى حلة الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤة تضىء من سيرة يومين ثم يقول: يا رب إن أبويه قد شُغل عنهما وكل صاحب عمل وتجارة، قد كان يدخل على أبويه من عمله فيعطى أبويه مثل ما أعطى.

ويتمثل للكافر عمله فى أقبح ما يكون صورة، وأنتن رائحة ويجلس إلى جنبه كلما أفزعه شىء زاده وكلما تخوف شيئاً زاده خوفاً منه.

فيقول: بئس الصاحب أنت ومن أنت؟

فيقول: أما تعرفنى؟

فيقول: لا.

فيقول: أنا عملك كان قبيحاً فلذلك ترانى قبيحاً وكان مُنتنا فلذلك ترانى منتناً، فطأطئ رأسك، أركبك فطالما ركبتنى فى الدنيا.

فذلك قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (النحل: ٢٥).

قال القرطبى: مثل هذا لا يقال من جهة الرأى، ومعناه يستند إلى حديث قيس بن عاصم المنقرى أن النبى ﷺ قال: «إنه لابد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حى وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإن كان صالحاً فلا تأمن إلا به وإن كان فاحشاً فلا تستوحش إلا منه وهو فعلك»(١).

والقرين هو الصاحب الملازم دائماً ومنه القرين الشيطانى والقرين الملائكى، والعمل الصالح والعمل السىء هو المقصود فى الحديث السابق ذكره.

وذكر أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله فى كتابه روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق حديثاً رفعه إلى النبى ﷺ قال: «يُؤتَى يوم القيامة بالتوبة فى صورة حسنة ورائحة طيبة فلا يجد رائحتها ولا يرى صورتها إلا مؤمن فيجدون لها رائحة وأنساً فيقول الكافر والعاصى المصر: ما لنا ما وجدنا ما وجدتم ولا رأينا ما رأيتم.

فتقول التوبة: طالما تعرضت لكم فى الدنيا فما أردتمونى، فلو كنتم استعملتمونى لكنتم اليوم وجدتمونى.

فيقولون: نحن اليوم نتوب.

---

(١) التذكرة للقرطبى.

فـينادى مناد من تحت العـرش: هيـهـات ذهبت أيام المهلة وانقـضـى زمـان التوبة فلو جئتمونى بالدنيا وما اشتملت عليه ما قبلت توبتكم ولا رحمت عبرتكم:

فعند ذلك تتأى التوبة عنهم، وتبعد مـلائكة الرحمـة عنهم، وينادى منادٍ من تحت العرش: يا خزنة النار هلموا إلى أعداء الجبار(١).

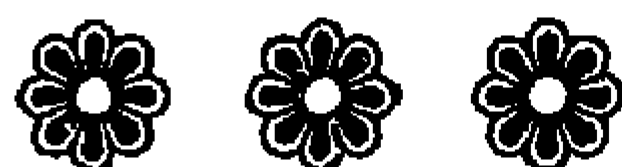
والله تعالى أعلى وأعلم.

وهناك من يدخلون الجنة من أمة محمد ﷺ ويطلق عليهم «الجهنميون» لدخولهم الجنة بعد أن دخلوا النار وعذابهم فيها.

عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ: -

قال: يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها عذابها بالشفاعة فيدخلون الجنة فيسميه أهل الجنة الجهنميين»(٢). رواه البخارى.

وأحاديث الشفاعة كثيرة جداً نكتفى بما ذكرناه ففيه الكفاية.



---

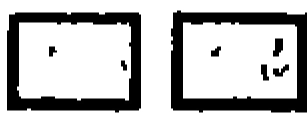
(١) انظر المصدر السابق.

(٢) رواه البخارى وأبو داود فى سننه والهندى فى كنز العمال.

28

يوم القيامة فى التوراة والإنجيل

- القيامة عند أهل الكتاب.
- التلمود واليوم الآخر.



القيامة عند أهل الكتاب

لا يوجد ذكر ليوم القيامة فى التوراة التى تنسب لموسى عليه السلام، حتى إن كثيراً من طوائف اليهود لا يؤمنون بالبعث والنشور، وهم «الصادقيون» أما الذين يؤمنون بالبعث والنشور هم من يعرفون «بالكتبة» أو «سوفريم»(١).

وقد جاءت الطائفة اليهودية التى تكذب بالبعث والنشور واليوم الآخر إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وجادلوه كما جاء ذكر ذلك فى إنجيل متى الإصحاح الثانى والعشرون.

والأناجيل المعترف بها وهى أربعة فقط جاء ذكر الآخرة والبعث والنشور فيها ولكن دون تفاصيل كما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية.

وأما الأناجيل التى تسمى الأبوكريف وهى غير المعترف بها مثل «إنجيل برنابا» فقد جاء ذكر اليوم الآخر والبعث والنشور والجنة والنار.

وجاء فى التوراة السامرية ذكر يوم القيامة على أنه يوم الانتقام والمكافأة.

وأما التوراة العبرية فلا تنص على وجود بعث أو نشور وإنما يوجد فيها أن الانتقام يكون فى الدنيا ويمكن أن يكون فى الآخرة، وهذا ما ذكره الحق جل وعلا فى القرآن عن اليهود:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

---

(١) آمنت طائفة الفريسيون اليهودية بالقيامة لحساب الأمم الأخرى غير اليهود لاعتقادهم أنهم شعب الله المختار!!

يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٣، ٢٤).

وجاء ذكر القيامة فى المزامير على استحياء فى المزمور الخامس والخمسين: مثل الغنم إلى النار يساقون، الموت يرعاهم ويسودهم المستقيمون غداة، وصورتهم تبلى، والهاوية مسكن لهم».

وفى سفر دانيال وهو أحد أسفار العهد القديم جاء ذكر القيامة دون تفصيلات فى الاصحاح الثانى عشر منه:

كثيرون من الراقدين تحت التراب يستيقظون هؤلاء إلى الحياة والأبدية، وهؤلاء إلى العار، والازدراء الأبدى».

هكذا يشير النص أن كثيرا من الراقدين تحت التراب وليس كلهم، ولعل أن نصوص التوراة الحقيقية قد أشارت بوضوح إلى القيامة وأهوالها وإلى الجنة والنار إلا أن يد التحريف والتبديل قد أصابتها، فلم يبق فيها إلا بقايا الوحى القديم الإلهى.

والعهد القديم ليس كله التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام وإنما هو الكتب التى أنزلت على أنبياء بنى إسرائيل وجاء ذكر يوم القيامة فى إنجيل متى الإصحاح ٢٤ والإصحاح ١٨.

حينئذ تقدم إليه بطرس وقال يا رب كم مرة يخطئ إلىَّ أخى وأنا أغفر له، هل إلى سبع مرات، قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة، لذلك يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً أراد أن يحاسب عبيده فلما ابتدأ المحاسبة قدم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة، وإذا لم يكن له ما يوفى أمر سيده وأن يباع وامرأته وأولاده وكل ما له ويوفى الدين.

فخر العبد وسجد له قائلاً يا سيد تمهل علىَّ فأوفيك الجميع، فتحنن ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين ولما خرج ذلك العبد وجد واحدا من العبيد

رفقائه كان مديوناً له بمائة دينار.

فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً أوفنى مالى عليك فخرَّ العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلاً تمهل علىَّ فأوفيك الجميع.

فلم يرد بل مضى وألقاه فى سجن حتى يوفى الدين، فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى، فدعاه حينئذ سيده وقال له: أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إلىَّ.

أفما كان ينبغى أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا.

وغضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتى يوفى كل ما كان له عليه فهكذا أبى السموى يفعل بكم أن تتركوا قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته(١).

(وفى الاصحاح ٢٨ من نفس الإنجيل):

وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظر القبر، وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه.

وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات، فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما، فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا لأنه قام كما قال.

هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضجعاً فيه واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات، ها هو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه، ها أنا قد قلت لكما.

فخرجا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضين لتخبرا تلاميذه، وفيما هما منطلقتا إلى تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما.

---

(١) إنجيل متى ١٨: ٢١ ـ ٢٤.

فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له، فقال لهما يسوع: لا تخافا، اذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروننى.

وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان.

فأجمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين:

قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام، وإذا سمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين.

فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم.

وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا، فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: رُفع إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر(١).

(وفى إنجيل مرقس جاء ذكر الآخرة والثواب فى الجنة بشرب الكرمة):

الحق أقول لكم إنى لا أشرب بعدُ من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً فى ملكوت الله ثم سجدوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» مرقس ١٤: ٢٦ ـ ٢٧.

وما جاء فى الأناجيل عن القيامة إنما هو قيامة السيد المسيح عليه السلام حسب اعتقادهم من قبره إلى السماء بعد أيام من صلبه كما يعتقدون.

ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس على يمين الله. مرقس ١٦: ١٩.

---

(١) إنجيل متى ٢٤.

وأما التلمود الذى هو الكتاب المقدس عند اليهود وهو التفسير الشفهى الذى يعتقد بعض اليهود أن موسى عليه السلام تلقاه من الله عز وجل شفاهة ونقله شفاهة إلى هارون أخيه ومن هارون إلى أحبار بنى إسرائيل نجد أن الذين كتبوا التلمود من أحبار اليهود قد ذكروا فيه النار التى ذكرت عند المسلمين والمسيحيين لعدم ذكرها فى التوراة.

فالآخرة من جنة ونار وثواب وعقاب إنما ذكرت فى التوراة إنما عقوبة مادية قد تكون فى الدنيا وأما الآخرة فهى فى اعتقاد من يؤمن منهم بالبعث والنشور إنما للأمم الأخرى غير بنى إسرائيل، لاعتقادهم أن اليهود أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبهم.

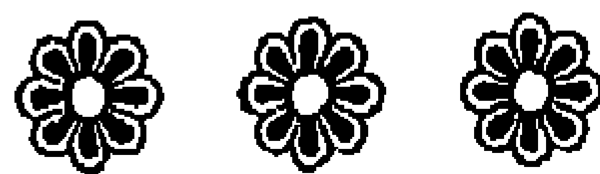
ففى كتاب سنهدرين فصل «كل إسرائيل لها نصيب فى العالم الآتى ـ الآخرة ـ أما هؤلاء فلا نصيب لهم فيه، من يزعم أن للقيامة ليست عقيدة توراتية.

وفى كتاب الزوهار جـ ١: «من يفعل خيراً فلن يقوم من الموت».

وقد رد الله عز وجل على زعم اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه فى القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (المائدة: ١٨).

وصدق الله العظيم وكذب من خالفه وادعى عكس ما قال سبحانه عز وجل.



29

إسرافيل في العهد القديم والجديد

- الملك الموكل بالقيامة هو ميخائيل رئيس الملائكة ولا يوجد ذكر لإسرافيل.

□□

إسرافيل فى العهد القديم والجديد

إسرافيل هو الملك الموكل فى النفخ فى الصور عندنا نحن المسلمين.

أما فى العهد الجديد أو القديم فلا يوجد ذكر لمثل هذا الملك باسمه الذى نعرفه وإنما هناك رئيس الملائكة ميخائيل وهو الموكل بدعوة الموتى للقيامة وهو ما يوازى عمل إسرافيل الذى ينفخ فى الصور لدعوة الموتى للحساب.

فكلمة ملاك تعنى فى التوراة أو الإنجيل الرسول، فالملائكة هم رسل الله، وهما فى العبرانية واليونانية.

فالملائكة عندهم يشاركون المخلصين فى المجد وهم حاضرو الناس للدينونة.

أما أسماء الملائكة الواردة فى العهد الجديد والقديم، فقد ورد اسم ميخائيل وجبرائيل، ورفائيل، وأورئيال وصورئيال وكموئيل ويوفئيل وصدقئيل، والملائكة الكروبيم والسرافيم.

ورئيس الملائكة هو ميخائيل كما ذكرنا وهو الموكل بأعمال القيامة، وهى كلمة عبرية تعنى «من مثل الله».

وجاء ذكر الملاك «ميخائيل» فى سفر دانيال وكذلك الملاك جبرائيل أيضاً.

(جاء فى سفر دانيال الأصحاح العاشر):

(ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحداً وعشرين يوماً وهو ذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى وأنا أبقيت هناك عن ملوك فارس وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك فى الأيام الأخيرة لأن الرؤيا إلى أيام بعد، فلما تكلم معى بمثل هذا الكلام جعلت وجهى إلى الأرض وصمت).

(دانيال..: ١٣ ـ ١٦).

وجاء أيضاً عنه فى نفس السفر:

(وقال لا تخف أيها الرجل المحبوب سلام لك تشدد تقو، ولما كلمنى تقويت وقلت ليتكلم سيدى لأنك قويتنى، فقال هل عرفت لماذا جئت إليك، فلأن أرجع وأحارب رئيس فارس، فإذا خرجت هو ذا رئيس اليونان يأتى، ولكنى أخبرك بالرسوم فى كتاب الحق ولا أحد يتمسك معى على هؤلاء إلا ميخائيل رئيسكم).

(دانيال ١٠: ١٦ ـ ٢١).

وفى الاصحاح الثانى عشر من نفس السفر:

(وفى ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبنى شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفى ذلك الوقت ينجى شعبك كل من يوجد مكتوباً فى السفر).

(دانيال ١٢: ١).

وجاء ذكره أيضاً فى سفر رسالة يهوذا (٩ سم، العهد الجديد رسائل تسالونيكى الأولى (٤: ١٦).

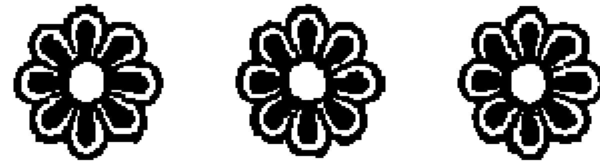
كما أن سدوم وعمورة والمدن التى حولهما إذ زنت على طريق مثلهما ومضت وراء جسد آخر جعلت عبرة مكابدة عقاب نار أبدية، ولكن كذلك هؤلاء

أيضاً المحتلمون ينجسون الجسد ويتهاونون بالسيادة ويفترون على ذوى الأمجاد، وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجّاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب).

(رسالة يهوذا ٧ ـ ١٠).

فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقون إلى مجىء الرب لا نسبق الراقدين لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولاً). رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى.

(الأصحاح ٤: ١٥ ـ ١٧).



كلمة أخيرة

ونصل إلى نهاية ذلك اليوم العظيم على أبواب الجنة ودرجاتها ودركات النار والجحيم بعد أن يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان يخرجون بالشفاعة النبوية وغيرها.

ففى هذا اليوم يطلب أهل النار حسنات ما قدموه لمن استحق دخول الجنة لعلهم يفوزون برحمة الله ويدخلون الجنة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يُصِف الناس يوم القيامة صفوفاً، فيمر الرجل من أهل النار على الرجل من أهل الجنة فيقول فلان أما تذكر يوم استسقيتنى فسقيتك شربة.

قال: فيشفع له.

ويمر الرجل على الرجل فيقول أما تذكر يوم ناولتك طَهوراً، فيشفع له(١).

وهكذا يطلب من استحق عليه العذاب فى النار حسنات ما قدم من عمل لغيره فى ذلك اليوم.

قال ﷺ: «ليوفيهم أجورهم يوم القيامة ويزيدهم من فضله» قال: أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه.

(٢) أخرجه أبو نعيم.

وذكر أبو حامد الغزالى رحمه الله فى إحياء علوم الدين:

قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار، ويقول يا فلان هل تعرفنى.

فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟

فيقول: أنا الذى مررت بى فى الدنيا يوماً فاستسقيتنى شربة ماء، فسقيتك.

قال: قد عرفت.

قال: فاشفع لى بها عند ربك.

فيسأل الله تعالى ويقول: إنى أشرفت على أهل النار فنادانى رجل من أهلها، فقال:

هل تعرفنى، فقلت: لا، من أنت؟

قال: أنا الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى بها، فشفعنى.

فيشفعه الله تعالى، فيؤمر فيخرج من النار والله تعالى أعلم.

وهكذا فى هذا اليوم يخرج أناس بالشفاعة سواء شفاعة النبى ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين بل والأعمال التى عملها الإنسان العاصى، المهم أن يموت المسلم على التوحيد فلا يشرك بالله شيئاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾

(النساء: ٤٨).

وتتعدد مشاهد يوم القيامة منذ النفخ فى الصور نفخة الصعق ثم نفخة البعث والحساب إلى الشفاعة وخروج من دخل النار من أهل التوحيد، إنها رحلة الخلود والبقاء.

نسأل الله العافية والنجاة والفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

المـــؤلـــف

أهم المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٣ ـ تفسير القرطبى.

٤ ـ التذكرة للقرطبى.

٥ ـ مسند الإمام أحمد.

٦ ـ صحيح البخارى.

٧ ـ صحيح مسلم.

٨ ـ سنن ابن ماجه.

٩ ـ سنن النّسائى.

١٠ ـ الفتن والملاحم (لابن كثير).

١١ ـ إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى.

١٢ ـ نوادر الأصول ـ للترمذى.

١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى.

١٤ ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ محمد أبو العز الحنفى.

١٥ ـ التخويف من النار ـ لأبى الفرج بن الجوزى.

١٦ ـ الروح ـ لابن قيم الجوزية.

١٧ ـ العهد القديم والعهد الجديد.

١٨ ـ اللؤلؤ والمرجان ـ أحمد فؤاد عبد الباقى.

١٩ ـ المعجم المفهرس ـ أحمد فؤاد عبد الباقى.

٢٠ ـ مدارج السالكين ـ لابن قيم الجوزية.

٢١ ـ فقه السنة ـ للسيد سابق.

٢٢ ـ جبريل أمين الوحى الإلهى ـ منصور عبد الحكيم.

٢٣ ـ نزهة المجالس ـ للصفورى.

وكتب أخرى ذكرت فى الهوامش.

الكاتب فى سطور

- منصور عبد الحكيم محمد عبد الجليل.

- حاصل على ليسانس فى الحقوق - جامعة عين شمس ١٩٧٨.

- من مواليد القاهرة.

- يعمل بالكتابة والمحاماه.

- له العديد من الدراسات والبحوث الإسلامية والمقالات فى الصحف والمجلات العربية.

صدر له:

١ - جبريل أمين الوحى الإلهى.

٢ - السيناريو القادم.

٣ - تنبؤات نوستراداموس ومخططات اليهود.

٤ - نهاية العالم وأشراط الساعة.

٥ - يأجوج ومأجوج.

٦ - عشرة ينتظرها العالم.

٧ - ٥٠ قصة عن الشفاء والعافية.

٨ - ١٥٠ قصة عن المبشرين بالجنة.

٩ - ازدراء وإيذاء الأنبياء.

١٠ ـ البداية فتن والنهاية ملاحم.

١١ ـ معجزات الشفاء بالأدوية الإلهية والنبوية.

١٢ ـ المهدى فى مواجهة الدجال.

١٣ ـ ١٥٠ قصة لرجال ونساء استجاب الله دعاءهم.

١٤ ـ ١٥٠ قصة لرجال ونساء قضى الله حوائجهم.

١٥ ـ ١٥٠ قصة لرجال ونساء حول الرسول ﷺ.

١٦ ـ ١٥٠ قصة عن الرزق والعطاء .

١٧ ـ ١٥٠ قصة عن كرامات الصحابة والصالحين.

١٨ ـ ١٥٠ قصة عن الزاهدين والصالحين.

١٩ ـ بلاد الشام أرض الأنبياء.

٢٠ ـ بلاد الحجاز معقل الإيمان آخر الزمان.

٢١ ـ العراق أرض النبوءات والفتن.

٢٢ ـ الإمبراطورية الأمريكية البداية والنهاية.

٢٣ ـ نيويورك وسلطان الخوف.

٢٤ ـ هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل ـ مشترك.

٢٥ ـ الفراسة لمعرفة الآخرين.

٢٦ ـ معجزات الشفاء بالحجامة.

ـ وكتب أخرى متنوعة تطلب من دار الكتاب العربى.

فهرس المحتويات


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين